
عاشقة الليل
نازك الملائكة

نازك الملائكة

عاشقة الليل

منشورات

المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت

الطبعة الثانية
آذار (مارس) ١٩٦٠

أعبّر عمّا تحسّ حياتي
وأرسم إحساس روحي الغريبْ
فأبكي إذا صدمتني السنين
بخنجرها الأبديّ الرهيبْ
وأضحك ممّا قضاه الزمان
على الهيكل الآدمي العجيبْ
وأغضب حين يُداس الشعور
ويُسخر من فوران اللهيبْ

نازك

ذكريات ممحوّة

وجهُكَ أخفاهُ ضَبابُ السنينْ
وضمَّهُ الماضي إلى صدرِهِ
ألقَى عليه من شبابي الحزينْ
أحزانَ قلبٍ تاه في ذُعْرِهِ

وصوتُكَ الخافِيْ نَخبَا لحنُهُ
وأوحشَتْ سَمْعِيَ أصداؤه
فلستُ أدري الآنَ ما لونُهُ ،
ما رجعُهُ الصافي ، وإيحاؤه

ولونُ عينيكَ ، وأسرارُها ،
وَشعرُكَ الداجي ، وأمواجُهُ
غابتْ جميعاً ، أينَ تَذكارُها
في ليلِ قلبٍ طال إدلاجُهُ ؟

كم ، في سكونِ الليلِ ، تحتَ الظلامْ
رَجعتُ للماضي وأيّامِهِ
أبحثُ عن حبّيَ بين الرُّكامْ
فلم تَصِدْني غيرُ آلامِهِ

لم يَبْقَ شيءٌ غير حُزْني المريرْ
بقيّةٌ من حبّيَ الذاهبِ
وذكرياتٍ من صِبايَ الغريرْ
ساخرةٍ من وجهيَ الشاحبِ

وأصبحتْ ذكراكَ وهْماً يـلوح
يشتاقُهُ قلـبي الكئيبُ الغريرْ
يا جَسَداً ، كالقبر ، ما فيه روحْ
سمّيتُهُ قلبـاً ، فيا لَلْغُرورْ !

وأيُّ قلـبٍ جامـدٍ باردِ
أيُّ حياةٍ تحتَ ظـلّ الخُمودْ
لولا صُرَاخُ الزّمن الحاقـدِ
لضِقْتُ بالعيش وعِفْتُ الوجـودْ

لم يَعُـدِ الحُبُّ أسىً مُحْرقا
يُشْعِـلُ أيّامي بأحزانِـهِ
ولم يَعُـدْ جَفْـنيَ مُغْرورقـا
يُحْرِقُـه الدمْـعُ بنيرانِـهِ

لم يَبْقَ إلا ثورةٌ واحتقارْ
ملء حياتي المُرَّةِ الحالمه
ألنارُ ذابتْ وتبقّى الشّرارْ
تشربُهُ أحلاميَ الواهمه

وطيفُكَ الخابي هَوَى نجمُهُ
وغابَ في الماضي الرّهيب الأبيدْ
ووجهُكَ القاسي ذَوَى رسمُهُ
في مُقْلتي فهو خيالٌ بعيدْ

مَضَى زمانٌ كنتُ فيه التي
تفتنُها أنغامُكَ الصافيه
وروحُ أشعارِكَ في وحدتي
وحيُ الإلهيُّ وأشعاريَه

مَضَى وأبقـــى لي فؤاداً يرَى
فيكَ جماداً من ترابٍ وطـــينْ
أسكنتُهُ يومـــاً أعـــالي الذُّرَى
وأرجعتَهُ للحضيضِ السنـــينْ

لم يَبْقَ منكَ الآنَ شيءٌ جميـلْ
غـــير اسمِكَ العذْبِ وأصدائه
ذكرىً لقلبٍ كانَ يوماً نبيلْ
فبـــات في حَمْـــأةِ أهوائـــه

ملامحُ الهيكلِ عنـدي امّحتْ
ألوجهُ ، والبَسْمةُ ، والمُقْلتانْ
لم يَبْقَ الا اسمٌ ، وروحٌ خوَتْ
وذكرياتٌ قـــد محَاها الزمانْ

مَـدَدْتُ كفّيَّ إلى جوِّهـا
باحثةً عـن سِحْرِهـا السابقِ
فلم أجدْ ثَمَّ سوى شِلْوِهـا
يَسْخَرُ من مَـدمعيَ الدافقِ

وعـاد قلبي للأسَى والعذابْ
مُستوحشاً حتّى من الذِّكرياتْ
من يُرْجِعُ الماضي إذا ما الضَّبابْ
أَلقى دُجاهُ فوقَ ليلِ الحياةْ ؟

وما مَحَاهُ الزَّمَنُ القـادرُ
أيُّ يدٍ تكتبهُ من جديـدْ ؟
فيمَ إذنْ يلتفـتُ الشاعرُ
إلى دُجى الماضي الرهيبِ الأبيدْ ؟

٢٠ ـ ٨ ـ ١٩٤٦

ذكرى مَولِدي

مهداة الى «كاملة» صديقة طفولتي
التي لم أعد أعرف منها إلا اسمها

جئتِ يا ذكرياتُ شاحبةَ الوجهِ
حَيارَى في موكب الأيّامِ
جئتِني والشّبابُ باكٍ بعينيّ
وحولي جنازةُ الأحلامِ
رَغَبَاتي دفنتُها في ثَرَى الماضي
وقلبي منا عادَ غيرَ حُطَامِ
ودُموعي رمزٌ لما لقيتْهُ الروحُ
في غَيْهَبِ الوجودِ الدامي

*

جئتِ يا ذكرياتُ ، ما أفظعَ الذكرى
وما اروعَ الرّجاءَ الفقيدا
ليتَ قلبي قد كانَ صَخْراً أصمّاً
كلّ يومٍ يَبني رجاءً جديدا
ليتَهُ كان جامِدَ الحسّ ، كالطيّن ،
يعيشُ الحياةَ جَذْلاً سعيدا
ليتَهُ لم يكن ،
ويا ليتني أعتاضُ عنهُ حجارةً أو حديداً

*

والتقينا مع الصباح ،
فيا خيبةِ نفسي ، أيُّ التقاءٍ مريرِ
وجهُكِ الشاحبُ المروّعُ يُبكيني
ويُحيي ذكرى صبايَ الغريرِ
وبعينيكِ قطرةٌ من دموعي
وعلى فيكِ آهةٌ من زفيري
أسفاً قد حفِظتِ أحزانَ قلبي ،
وتجاهلتِ نشوتي وحبوري

*

شَهِدَ الفجرُ كيفَ ، يا ذكرياتي ،
كان هذا اللقاءُ أشجى لقاءِ
عانقَتْني أشباحُكِ الباكياتُ الخُرْسُ
باليأسِ والشَجا والبكاءِ
وَوقفنا ، تحتَ الصباحِ ، تماثيلَ حيارَى
كأنفُسِ الشُعَراءِ
وانحنتْ فوقَنا الشُجَيْراتُ حزْناً
تتباكى بأدمُعٍ خرساءِ

*

أسفاً ، ضاعتِ الطُفُولةُ في الماضي
وغابتْ أفراحُها عن جفوني
وهي ، لو تعلمينَ ، أجملُ ما يملِكُ قلبي
وما رأتْهُ عيوني
حينما كنتُ طِفلةً أجهلُ السرّ
وأحيَى في غفلةٍ من شجوني
كالعصافيرِ ، املأ الدارَ لهواً وغناءً
وأستحبُّ جنوني

*

ماتَ أمسي الضَّحُوكُ واعتَضْتُ عنه
بشبابٍ مرٍّ ، ودمعٍ ، ويأسِ
وَخبَتْ ذكرياتُهُ البيضُ في بحرِ شعوري
وليلِ قلبي ونفسي
أين تلكَ الوجوهُ ؟ كيف نسيتُ الآنَ ؟
من ذا يُعيدُ لي فجرَ أمسي ؟
كلُّ وجهٍ عفّاهُ مَرُّ الليالي
فهو طيفٌ وراءَ وعيي وحسّي

*

أعبُرُ العُمْرَ كلَّهُ نحو أمسي
ويعودُ الشعورُ بي للتّلالِ
مجلسي فوق تلّيَ الحلْوِ وحدي
أو شُرودي بينَ الشّذَى والظِلالِ
ومعي الطفلةُ الصّديقةُ
نبني فوق وجه الرّمالِ عرشَ الخيال
عمرُنا قِصّةٌ ، ولحنٌ نغنّيه ،
وقلبانِ في نقاءِ الرّمالِ

*

أين أصبحتِ يا رفيقةَ أمسي ؟
ما الذي قد شهِدْتِ فوقَ الوجودِ ؟
أترى تذكرين ، مثليَ ،
أيّامَ صِبانا وحُلمَنا المفقودا
أم ترى قد نسيتِني ونسيتِ الأمسَ
في فرْحةِ الشّبابِ الرغيدِ ؟
أبداً لستُ ، لستُ أنسى
وإن كنتِ تهاويتِ في الزّمانِ البعيدِ

*

أترى أبصرتْ عيونُكِ في الأرضِ
كما أبصرتْ عيوني شقاها ؟
أرأيتِ الأحزانَ في كلّ قلبٍ ؟
ورأيتِ النفوسَ في بلواها ؟
أسمعتِ الصُراخَ يُرْسِلُهُ الأحياءُ
والأرضُ أغرقتها دماها ؟
حدّثيني ، صديقةَ الأمسِ ،
هاتي عن لياليكِ ، بِشْرِها وأساها

ربما كنتِ ، يا رفيقةُ ، مثلي ،
زورقاً في البحار عاد حُطاما
ألرّفيقاتُ غِبْن عنكِ
وآثرنَ عليكِ الشّرورَ والآثاما
فكتمتِ الشعورَ في قلبك الصافي
وصُنْتِ الاحزانَ والآلاما
وقضَيْتِ الحياةَ في الوحدة الخَرْساءِ
تستلهمينها الأحلاما

*

أنْصتي من مكانك الغامض المجهولِ
أصغي إلى نشيدي الصافي
أوَ تدرين ما الّذي صنعتْهُ
سنواتُ العُمْر الرهيبِ الخافي ؟
إنّه يومُ مولدي ، يومُ أحزاني ،
وذكرى الرُسُوّ عند الضّفافِ
حينما أوقفت سفينتيَ الأقدارُ
بين الأمواجِ ، تحت السّوافي

*

إنّه يومُ مولدي ،
أين أفراحُ شبابي أعيدُها للسّنينا ؟
كيف مرّ العامُ الحزينُ بقلبي المُرّ ؟
أين الثلاثُ والعشرونا ؟
كيف مرّتْ هذي السنينُ ولم أدْرِ ؟
ومالي ذوّبتُ عُمْري أنينا ؟
لم أنَلْ من ظلامِهِ المرّ
إلا أملاً ذاهباً وروحاً حزينا

*

انه يومُ مولدي ،
ولقد مرّ بعُمْريْ الداجي كظلٍّ شقيّ
عِشْتُهُ في قصائدي ودموعي
بين جُدْران معبدي الشاعريّ
لا فؤادٌ معي يُشاركني حُزْني
ويبكي على شبابي الدّجيّ
لا رفيقٌ في غُرْبتي ووجومي
غيرَ قلبي الشجي ودمعي النقيّ

١٩٤٦/٨/٢٣

الحياة المحترقة

« كتبت الشاعرة هذه القصيدة
عندما ألقت بمذكراتها الى النار . »

هــذه يا نارُ أفراحي وشوقي وشجـوني
جئتُ أُلقيها إلى فكَيكِ في فجري الحزينِ
كلُّ ما مرَّ بقلبي من شقاءٍ وحنـين
إلتقفيه الآن لا تُبقي ولا تستمهليني

هذه الأسطرُ قـد ضمّت بقايا سنواتي
منذُ أن ألقتْ بيَ الأقدارُ في تيهِ الحياةِ
طفلةً ترنو الى الشاطىء عَبرَ النظَراتِ
وترى العالمَ بحراً مُغرَقاً في الظلُماتِ

سَنَواتي كلُّها يا نارُ في هــذي السُّطورِ
وأغاريدي ، وأشواقُ حياتي ، وحُبوري
وبقايا من حنيني ، وشظايا من شُعوري
وأباديدُ من الأحــلامِ والحُزْنِ المريرِ

إنّها أيّتُهــا النارُ ، أزاهــيرُ شبابي
صُغتُها ذكرىً لأحزاني ، ورمزاً لعذابي
ومحا أسطُرَها دمعي وأبلاهــا اكتــآبي
فَخُذيها ، وأعيديها رُكامــاً من تُرابِ

أحْرقيها ، لم أعُدْ أعبأ ، لن أبكيْ شَذاها
إنّها ، يا نارُ ، ذكرىً لليالٍ لن أراها
دَفَنَ الماضي خفاياها الحَوالي ومَحَاهــا
وطوتْها لُجّةُ النسيانِ في عُمْقِ دُجاها

ذهبتْ تلك الليـالي وطوى الدهرُ صبايا
أيُّ نَفْعٍ بعْـدُ يا نارُ لدمْعي وأسايا ؟
أيُّ معـــنىً لادّكاراتي وشوقي ومُنَايا ؟
لن يعودَ الأمسُ ، لن تَلْتَقي سَناهُ مُقْلتايا

أيّها الحاضرُ لا تُسْرعْ الى الماضي البعيدِ
ولْتَقِفْ مركَبَةُ الشمسِ على الأفْقِ المديدِ
ليكُنْ بعدُ صِبانا تحت أفيـاءِ الخُلُودِ
آهِ ولْيَمّحِ لفظُ الأمسِ ، من سِفْرِ الوجودِ

أو أبِدْ ما تَرَكَ الماضي من الأحزانِ فينا
وامسحِ الذكرى ولا تُبْقِ لنا الشوقَ الدفينا
حسبُنا الحاضرُ آلاماً ودمعـــاً وشُجُونا
رحمةً فلْتَمْسَحِ الماضي وآثارَ السِنينـا

فيمَ تبقى ذكرياتي حيّةً بعدي وأُنسى ؟
كلَّ يومٍ أُسرعُ الخَطوَ عن العالم يأسا
وهي ما زالتْ شباباً ناضراً ، جِسماً ونفْساً
آهِ ما أعنفَ أحقادي على الذكرى، وأقسَى!

أيّها النارُ التي في المَوقِدِ الداوي الرهيبِ
وخذي من فتنةِ الذكرى غذاءً للّهيبِ
إثاري منها ، أعيديها رَماداً ، وأذيبي
ودعيني مرّةً أضحكُ من قلبي الكئيبِ

٧ ــ ٦ ــ ١٩٤٦

في وادي العَبيد

ضاع عُمري في دياجيرِ الحياةِ
وَخبَتْ أحلامُ قلبي المغرَقِ
ها أنا وحدي على شطِّ المماتِ
والأعاصيرُ تُنادي زورقي
ليس في عينيّ غيرُ العَبَراتِ
والظلالُ السودُ تحمي مفرقي
ليس في سَمعيَ غيرُ الصَرَخاتِ
أسفاً للعُمْرِ ، ماذا قد بَقِي ؟

سَنَوات العُمْر مرّت بي سِراعا
وتوارت في دُجَى الماضي البعيدْ
وتبقّيْتُ على البحْر شِراعا
مُغْرَقاً في الدمْع والحزنِ المبيدْ
وحدتي تقتلُني والعُمْرُ ضاعا
والأَسى لم يُبْقِ لي حُلماً جديدْ
وظلامُ العيْش لم يُبْقِ شُعَاعا
والشّبابُ الغَضُّ يَذْوي ويَبيدْ

أيُّ مأساةِ حياتي وصِبايا
أيّ نارِ خلفَ صَمْتي وشكاتي
كتمتْ روحي وباحتْ مُقْلتايا
ليتها ضنّتْ بأسرار حياتي
ولمن أشكو عذابي وأسَايا ؟
ولمن أرْسلُ هذي الأغنياتِ ؟
وحواليّ عبيدٌ وضحايا
ووجودٌ مُغْرَقٌ في الظُلُماتِ

أيُّ معنىً لطُموحي ورجائي
شَهِدَ الموتُ بضَعْفي البَشريّ
ليس في الأرض لِحُزْني من عزاءِ
فاحتدامُ الشرِّ طبْعُ الآدميّ
مُثُلي العُلْيا وحُلْمي وسَمَائي
كلّها أوهامُ قلبٍ شاعريّ
هكذا قالوا ... فما مَعْنى بَقائي ؟
رحمةَ الأقدارِ بالقلب الشقيّ

لا أُريدُ العيشَ في وادي العبيدِ
بين أمواتٍ ... وإن لم يُدْفَنوا ...
جُثَثٌ ترسفُ في أسْرِ القيُودِ
وتماثيلُ اجتوتْها الأعيُنُ
آدميّونَ ولكنْ كالقُرودِ
وضِباعٌ شَرْسةٌ لا تُؤمَنُ
أبداً أسْمعُهم عذْبَ نشيدي
وهُمُ نومٌ عميقٌ مُحْزِنُ

قلبيَ الحُرُّ الذي لم يَفهموهُ
سوف يَلقَى في أغانيه العَزَاءَ
لا يَظنّوا أنهم قد سحقوهُ
فهو ما زالَ جَمَالاً ونَقَاءَ
سوف تمضي في التسابيح سِنوهُ
وهمُ في الشرّ فجراً ومساءَ
في حَضيضٍ من أذامّ ألفوهُ
مُظلمٍ لاحُسْنَ فيه، لا ضياءَ

*

إن أكنْ عاشقةَ الليلِ فكأسي
مُشرِقٌ بالضوءِ والحُبّ الوَريقِ
وجَمالُ الليلِ قد طهّرَ نفسي
بالدُجَى والهمس والصمْتِ العميقِ
أبداً يملأ أوهامي وحسّي
بمعاني الرّوحِ والشِعْرِ الرقيقِ
فدعُوا لي ليلَ أحلامي ويأسي
ولكم أنتم تباشيرُ الشُروق

٨ / ٨ / ١٩٤٦

ثورة على الشمس

هدية الى المتمردين

وَقَفَتْ أمام الشمس صارخةً بها
يا شمسُ ، مثلُكِ قلبيَ المتمرّدُ
قلبي الذي جَرَفَ الحياةَ شبابُهُ
وسَقَى النجومَ ضياؤه المتجدّدُ
مهلاً ، ولا يخدعْكِ حُزْنٌ حائرٌ
في مقلتيّ ، ودمعةٌ تتنهّدُ
فالحزنُ صورةُ ثورتي وتمرّدي
تحت الليالي ، والألوهةُ تَشْهدُ

مَهْلاً ولا يخدَعْكِ حزنُ ملامحي
وشُحوبُ لوني وارتعاشُ عواطفي
واذا لمحتِ على جبيني حَيْرتي
وسُطُورَ حزني الشاعريِّ الجارفِ
فهو الشعورُ يُثيرُ في نفسي الأسَى
والدمْعَ في هول الحياةِ العاصفِ
وهي النبوّةُ لم تطِرْ فتمرّدَتْ
بالحُزْنِ ، في وجهِ الحياةِ الكاسفِ

شَفتايَ مُطبَقتانِ فوق أساهما
عينايَ ظامئتانِ للأنداءِ
تَرَكَ المساءُ على جبيني ظلّهُ
وقضى الصباحُ على جديدِ رجائي
فأتيتُ أسكُبُ في الطبيعة حَيْرَتي
بين الشّذَى والوردِ والأفياء
فسَخِرْتِ من حُزني العميقِ وأدْمعي
وَضحِكْتِ فوق مرارتي وشَقَائي

يا شمسُ حتى أنتِ ؟ يا لكآبتي !
أنتِ التي ترنو لها أحلامي
أنتِ التي غنّى شبابي باسمها
وشدا بفيضِ ضيائها البسّام
أنتِ التي قدّستُها وتخذتُها
صنماً ألوذُ به من الآلامِ
يا خيبةَ الأحلامِ ، ما أبقيتِ لي
الا ظلالَ كآبتي وظلامي

سأحطّمُ الصنمَ الذي شيّدتُه
لكِ من هوايَ لكلِّ ضوءٍ ساطعِ
وأديرُ عيني عن سناكِ مشيحةً
ما أنتِ الاّ طيفُ ضوءٍ خادعِ
وأصوغُ من أحلامِ قلبي جنّةً
تُغني حياتي عن سناكِ اللامعِ
نحنُ ، الخياليّينَ ، في أرواحنا
سرُّ الألوهةِ والخلودِ الضائعِ

لا تَنشُري الأضواءَ فوقَ خميلتي
ان تُشرقي ، فلغيرِ قلبي الشاعرِ
ما عاد ضوؤكِ يستثيرُ خوالجي
حَسبي نجومُ الليلِ تُلهِمُ خاطري
هنّ الصديقاتُ السواهرُ في الدُجَى
يفهمن روحي وانفجارَ مشاعري
ويُرِقْن في جفْني خيوطَ أشعّةٍ
فضيّةٍ ، تحتَ المساءِ الساحر

أالليلُ ألحانُ الحياة وشعرُها
ومَطَافُ آلهةِ الجمالِ المُلهِمِ
تهفو عليه النفسُ غيرَ حبيسةٍ
وتحلّق الأرواحُ فوقَ الأنجُمِ
كم سِرتُ تحتَ ظلامه ونجومِهِ
فلسيتُ أحزانَ الوجودِ المُظلمِ
وعلى فمي نغَمٌ إلهيُّ الصدَى
تُلقيهِ قافلةُ النجومِ على فمي

كم رُحتُ أرقبُ كلَّ نجمٍ عابرٍ
وأصوغُ في غَسَقِ الظلامِ ملاحني
أو أرقبُ القمَرَ المودِّعَ في الدُجَى
وأهيمُ في وادي الخيال الفاتنِ
ألصمتُ يبعَثُ في فؤادي رعشةً
تحت المساء المُدلهمِّ الساكن
والضوءُ يرقُصُ في جفوني راسماً
في عُمْقِها أحلامَ قلبٍ آمنِ

يا شمسُ ، اما أنتِ .. ماذا ؟ ما الذي
تلقاهُ فيكِ عواطفي وخواطري ؟
لا تعجَبي أن كنتُ عاشقةَ الدُجى
يا ربّةَ اللّهَبِ المذيبِ الصاهر
يا من تُمَزّقُ كلَّ حُلْمٍ مُشْرقٍ
للحالمينَ وكلَّ طيفٍ ساحرِ
يا من تُهدّمُ ما يشيّدُهُ الدُجى
والصمْتُ في أعماق قلب الشاعرِ

أضواؤكِ المتراقصاتُ جميعُها
يا شمسُ أضعفُ من لهيب تمرُّدي
وجنونُ نارِكِ لن يمزّقَ نغمتي
ما دام قيثاري المغرِّدُ في يدي
فاذا غَمَرْتِ الأرضَ فلْتتذكّري
أني سأخْلي من ضيائكِ معْبدي
وسأدفِنُ الماضيْ الذي جلَّلتِهِ
ليخيِّمَ الليلُ الجميلُ على غدِي

٨ – ٧ – ١٩٤٦

بين فكّي الموت

« كانت الشاعرة مصابة بحمى شديدة
فكتبت هذه القصيدة الحزينة تودع
الحياة وتستقبل العالم المظلم . »

يا مساءَ الصيفِ الحزينِ
خَبَا حُبّي لما فيكَ من أسىً وخُشوع
وتبرّمتُ بالسكونِ ، وبالأشباحِ ،
واعتَضْتُ عنها بدموعي
لم يَعُدْ في قلبي هوىً لدياجيكَ
فيا رحمةً بقلبي الوجيعِ
رحمةً يا ظلامُ ، يا صَمْتُ ، يا أسرارُ ،
بالخافقِ الشقيِّ المَرُوعِ

ها أنا، تحتَ دجْيةِ الليلِ،
روحٌ مستَطارٌ في هَيْكلٍ موهونِ
صَرَخاتُ الحُمّى تحطّمُ أحلامي
وأحلامَ قلبيَ المحزونِ
يا عيونَ النجومِ، لا ترمُقيني
لم يَعُدْ في سَناكِ أيُّ فتُونِ
وامْدُدي يا رياحُ كفّيْكِ، لطفاً وحناناً،
على فمي وجبيني

ها أنا، بين فكّيِ الموتِ،
قلباً لم يَزَلْ راعشاً بحبِّ الحياةِ
وعيوناً ظمأى الى مُتَعِ الكون
تناجي مفاتنَ الأمسياتِ
لم أزَلْ بُرْعماً على غُصُنِ الدَهْر
جديدَ الأحلامِ والأمنياتِ
فحرامٌ أن تدْفِنَ الآن، يا موتُ، شبابي
في عالم الأمواتِ

ها أنا ، عند هُوّةِ الزَمنِ المُظلمِ
بين الأمواتِ والأحياءِ
من ورائي صِباي َ
بينَ الأناشيدِ ، ولهوِ الطفولةِ الحسناء
وأمامي وادي المنايا ،
قبورٌ ، في ظلالِ المنيّةِ الخرساءِ
أفُقٌ راعبٌ رهيبُ المعاني
ضمّ أرجاءهُ الدُجى اللانهائي

أيها الموتُ ، وقفةً ،
قبل ان تغري بجسمي سكونكَ الأبديّا
آهِ دعني أملأ عيوني من الأنوار
وارحمْ فؤاديَ الشاعريّا
آهِ دعني أودّعِ العودَ يا موتُ
فقد كان لي الصديقَ الوفيّا
وأرنّمْ لحنَ الوَداعِ لدنيايَ
لأمضيْ للموتِ ، قلباً شقيّا

رحمةً بي ، يا أيها الموتُ ،
وارفقْ بفؤادٍ نالتْ هواهُ الحياةُ
أعفِني الآنَ من مُفارقةِ الدُنيا
ودَعْني الى غدٍ ، يا مَمَاتُ ،
لا أحبُّ الظلامَ ، فلْيَكُنْ موتي في غدٍ ،
حينَ تَغْرُبُ الظُلُماتُ
حينما تضحكُ الطبيعةُ في الوادي الأغنّ الحالي
وتَشْدو الرُعاةُ

يا سكونَ الليل العميقِ ، وَدَاعاً !
إنها ، يا سكونُ ، آخِرُ ليله
لم يَعُدْ في الجسْم الوَهونِ سوى
بُقيا حياةٍ ونَسْمةٍ مضمحلّه
لم يَعُدْ في السّراجِ إلاّ
وميضٌ شاحبٌ مدّ حولَهُ الموتُ ظِلّه
وانتهى يا ظلامُ تحتَكَ تَجْوالي ،
وشِعْري ، وأغْنياتي المُمِلّه

وستمحو الأيامُ ذكْرَ فتاةٍ
شَغَفتْها إلهـةُ الشِعْر حُبّا
فقَضَتْ أمْسياتِها تتبعُ الأطيافَ والعاصفاتِ
شرقاً وغربا
يا جَناحَ الخيالِ ، لم يَبْقَ ريشٌ
يا ظلامَ الفناء ، لم تُبْقِ قلبا
ليس إلا جسمٌ تُضَعْضِعُهُ الحمّى
وطرْفٌ يَطْوي الدياجيرَ رُعْبا

أيها الليلُ ، أيُّها العالَمُ الغامضُ ،
قد أسْدلَ الستارُ المُخيفُ
فارحمِ الآنَ ، تحت دُجْيتكَ السوداءِ ،
قلباً غامَتْ عليه الحُتوفُ
لهفتا يا ظلامُ ، لن يَطْلعَ الفجرُ
ولن يَبْسِمِ الفؤادُ اللهيفُ
لهفتا يا ظلامُ ،
لهفةَ روحٍ لم يُمتّعْ شبابُهُ المَشْغوفُ

يا فؤادي الشريدَ ودِّعْ أمانيْكَ
فلن نلمحَ الصباحَ الجميلا
أنتَ يا من قضَيْتَ عمرَكَ مفتونا
تُنَاجي الرُبىَ وتَنْشُدو الحُقولا
واسترحْ، أيهّا الخَفوقُ، كفى حزْناً
كفانا تَضَرُّعاً وذهولا
لا يَرُعْكَ الرَدَى
وحسْبُكَ ان تُدرْكَ ، يا قلبُ ، سرَّهُ المجهولا

فيم تبكي على مُفَارقة الدنيا
وقد عِشْتَ في حِمَاها غريبا
إنها ، أيهُّا المعذَّبُ ، مأساةٌ
تُثيرُ الأسى وتُبْكي القلوبا
تخدعُ الجاهلينَ أوهامُها السودُ
ولا تخدَعُ الذكيَّ الأريبا
فاحتقِرْها وسِرْ إلى عالمِ الاموات
يا قلبيَ الرقيقَ طَرُوبا

يا عيونَ النجومِ ، يا وَرَقَ الصَّفْصَافِ
يا فِتْنةَ السكونِ ، وَدَاعاً !
لن أغنّيكِ ، بعد ليليَ هذا ،
آنَ أن يَنْشُرَ الزمانُ الشِراعا
عَبثاً يا حياةُ دفعيَ للموجِ
فلن أستطيعَ بعدُ دفاعا
وغداً سوف يطمُرُ اللُجُّ أشلائي
وتمضي بها الرياحُ سِرَاعا

يا بحارَ الفناءِ في العالمِ المجهولِ
رِفْقاً بزورقي المَكْدودِ
واحشُدي حولَهُ عرائسَكِ الحُوْرَ
لعليّ أسلو جمالَ الوجودِ
فأنا ، يا بحارُ ، شاعرةُ الأحلامِ
ضمّخْتُ بالفُتونِ نشيدي
وتغنّيتُ بالحياة ولكنْ
لم تَبَرَّ الحياةُ لي بالوعودِ

أيُّها الليلُ ، آنَ أن يُطفىءَ الموتُ
شعَاعَ الطمُوحِ في مُقلتيّا
لن تنالَ الآهاتُ من خافقِ الموتِ
ولن تُصغي الحياةُ إليّا
فوَدَاعاً من قلبِ عاشقةِ الليلِ وداعاً
وأنتَ ، يا موتُ ، هيّا
هكذا تذبلُ الحياةُ
ويخبو لحنُ أحزانها على شفتيّا

١٥ - ٦ - ١٩٤٥

السَّفَر

أنا وحدي فوق صَدْرِ البحر يازورقُ فارجعْ
عبثـاً أنتظرُ الآنَ فنجمي ليس يطلعْ
هبّتِ الرّيحُ على البحر الجنونيّ المُرَوّعْ
فلْتَعُدْ للشاطىء الساجي بقلبي المُتَضَرّعْ

عُدْ الى الشاطىء ، عدْ ، ما عاد يحلو لي البقاءُ
ذهبَ البحرُ بأصحابي الى حيثُ الضياءُ
أنا وحدي ، أيها الملاّحُ ، حزْنٌ وبُكَاءُ
يَرْجِعُ الزورقُ بي وحدي إذا جاءَ المَسَاءُ

ذهبوا للشاطىءِ المسحورِ إذ عُدْتُ لوحدي
ذهبوا إلا أنا ، عُــدتُ بأحزاني وسُهْدي
لم أُصِبْ في رحلتي إلاّ صَبَاباتي وجُهْــدي
فليكنْ ، يا بحرُ ، هذا ، بالمُنى ، آخرَ عهدي

كيف يا بحرُ توارى الركْبُ خلفَ الجُزُرِ ؟
كيف يَذْوي في فؤادي الصّبّ حُلُمُ السّفَرِ ؟
عزّ يا بحْرُ على موجِــكَ بُرْءُ الصّدَرِ
فلأعُــدْ ، لا رحمــةَ الآنَ بقلب القَدَرِ

فلأعُـدْ للساحلِ المظْلم قلبــاً مُستَطاراً
أدْفِنُ الحُلْمَ وأحيي زهرَةً وسْطَ الصّحَارى
أبـداً أروي أناشيــدي بأحزانِ الحَيَارى
أبـداً أحلُمُ بالفَجْرِ فلا ألْقَى النّهارا

أيُّها الزَّوْرَقُ عُدْ بي ، لم يَعُدْ ثَمَّةَ حُلُمْ
قد مَضى الرَّكْبُ ولن يُشْرِقَ في أُفْقِي نَجْمُ
مـا الذي أرجو ومن حولي المَسَاءُ المُدْلَهِمُّ
والأعاصيرُ ، وأشباحُ الدَّيَاجي ، والخِضَمُّ ؟

أيُّها الشّاطئُ ، يا مَنْبَعَ أحلامي ، وَدَاعا
سئمَ المِجدافُ في كفّيَّ دَفْعاً وصِراعا
كيف ألقاكَ وقد مَزَّقَتِ الريحُ الشّراعا
ورجائي فيكَ بينَ المَوْجِ يا شاطئُ ضاعا

فلأعُدْ ، لا سَفَرَ اليومَ الى الأفْقِ الجميلِ
لن أرى الشاطئَ ، لن أحْلُمَ في ظلّ النخيلِ
وغداً رحلتيَ الكبرى الى وادي الأفولِ
آهِ فلأرحلْ اليه ، فلقد حان رحيلي

فوَدَاعاً أيّهـــا الركبُ وَدَاعاً يا حيـــاة
آنَ أنْ يُطفِئَ أفراحي وأحزاني المماتُ
آنَ أن تهجُرَ قيثاري وعودي النَغَمـاتُ
فسلامٌ أيُّهـا الموتُ ، ســـلامٌ يا رُفاتُ

٣٠ ـ ٧ ـ ١٩٤٥

مرثية غريق

أيّها النَهْرُ لقد جـاء المساءُ
ومَشَى الصمتُ على الموجِ الوديعْ
وخبا في الأفُقِ الحالي الضيـاءُ
وتلاشَى وقْعُ أقـدامِ القطيعْ

سكنَ الكونُ سوى المَوْجِ المُدَوّي
بأساطيرِ العُصورِ الخاليـاتْ
لم يَزَلْ يشكو المقـاديرَ ويَرْوي
ابداً للكونِ أسرارَ الحيـاةْ

إيهِ يا ضِفّةُ مـا ذاكَ الخيـالُ ؟
فوق صدْرِ الموجِ ، تحت الظُلُماتِ
أإلهٌ قــد تصبّـاهُ الجمـالُ ؟
أم غريقٌ عزّهُ حَبْلُ النجـاةِ ؟

حدّثيني ، ما أرَى خلفَ السّياجِ ؟
فهو يا ضِفّـــةُ في الليلِ مُريبُ
ما الذي ألمحُ في هذي الدّياجي ؟
ما تراهُ ذلـكَ الشيءُ الغريبُ ؟

هيكلٌ يغطُسُ حينـــاً ثمّ يطفو
تائهـاً تحتَ دُجى الليـلِ الحزينْ
بَشَرٌ هذا ترى ؟ أم هو طيفُ ؟
ليتَ شِعْري ، يادياجي ، ما يكونْ؟

آهِ يا شاعرتي ، هـذا غريق
فاحزني للجَسَدِ البالي المُمَزَّقْ
راقداً ، تحتَ الدياجي ، لا يُفيقُ
والسَّنا من حَوْلِهِ جَفْنٌ مؤرَّقْ

يا لمَيْتٍ لم يودّعْهُ قريب
فهو في النَّهْرِ وحيدٌ مُتعَبُ
ما بَكَى مَضْرَعَهُ إلاّ غريبُ
هو قلبي ، ذلكَ المكتئبُ

يا رياحَ الليل رِفْقاً بالرُّفاتِ
واهدأي ، لا تُقلقي جسْمَ الغريقِ
حسبُهُ ما مزّقتْ أيدي الحياةِ
فليكُنْ منكِ له قلبُ صديقِ

ولْتكنْ ، يا نهرُ ، أمواجُكَ حضنا
يتلقّــاهُ وقلبــاً مُشْفِقــا
ولْتكنْ ، يا نجمُ ، أضواءُكَ عينــا
تسكبُ الدمْــعَ على من غَــرِقا

آهِ يا قيثارتي ، أيُّ المــآسي !
قد كرِهتُ الليلَ أضواءً وظــلاّ
أيها الصيّادُ ، قفْ ! ألْقِ المراسي
إنَّ تحتَ الليلِ جسماً مُضْمَحِلاّ

هوذا ، يا أيُّها الصيّــادُ ، جسما
خامدَ الأنفاسِ في حضْنِ الميــاهْ
وعيُونا مُلِئتْ رُعبــاً وهمّــا
لم يَزَلْ يملأهــا حُبُّ الحياهْ

أيّها الصيّادُ ، قِفْ بالزورقِ ،
وانتَشِلْ هذا الغريقَ البائسا
خُذْهُ للشاطىء وادفِنْ ما بَقِي
منه في القَرْيَةِ وارجِعْ يائسا

ما الذي تصطادُ في بحْرِ الزَمَنْ
وغداً يصطادُكَ الدهرُ العتيْ
نحن يا صيّادُ أبناءُ الشَجَنْ
حفَّ مَحْيانا الشَقاءُ الأبديْ

كلُّ يومٍ بينَ أيدينا غريقُ
وغداً نحنُ جميعاً مُغرَقونا
عالَمٌ حفَّ به الموتُ المُحيقُ
وتَباكَى في حِماهُ البائسونا

ضاقَ يا صيّـادُ في عَيْني الوجودُ

يا لَكَوْنٍ سِرُّهُ لا يَنْجَـلي

كلُّ ما فيـهِ الى القَبْرِ يقودُ

ما الذي يَبْقَى لنـا من أمَلٍ ؟

١٠-٧-١٩٤٥

علىٰ حافةِ الهوّةَ

جئتُــكِ ، يا هوّةُ ، تحتَ الدُجَى
لعلّني ألقَى لَديْــــكِ الخَلاصْ
لم يبْقَ لي في الأرضِ مـــا يُرتَجى
ولم يَعُدْ لي من رحيلي مَناصْ

جئتُكِ حيْرَى في ظـــلام الدُجَى
يدفعُ أقـــدامي جُنونُ الألَمْ
جئتُ وروحي فَزَعٌ صـــارخٌ
باسْمِ إلهِ الصمْتِ ، باسم العَدَمْ

إليـــكِ جسمي ، كفّني بالشّذى
أشـــلاءَهُ الغضّـــةَ واسقيهِ
ألقِي عليهِ باقـــةً حلوةً
من زَهْرِ أكتوبَرَ ، ضُمّيـهِ

وإن يكنْ تحتَ الدُجَى بلبـلٌ
فاستحلفيهِ أن يَصوغَ الرِّثاءْ
وإن تسَاقَى الزهرُ عِطرَ النّدَى
فقطرةٌ منـه لجسمي ارتواءْ

أالليلُ يدري ، ها أنا لم أزَلْ
بينَ جنُونينِ ، ونفسي انفجـارْ
أريـد ان أحيَى ... ولكنّني
أحِسُّ بالـثورة والإحتقـارْ

هيّا الى الموتِ ، الى صَمْتِـــهِ
فيمَ أخافُ الآنَ ؟ فــيمَ الألمْ ؟
عمّا قليــلٍ تنتهي قَسْوتي
على حيـــاتي ، ويضيعُ النَـــدَمْ

عمّا قليــلٍ يتصبّى الدُجَى
قلبي ، بما في صَمْتِـــهِ من حياةْ
عمّا قليــلٍ يَحتويـــني الأسى
على وَداعِ الحـــبّ والذِكرياتْ

ها أنا في جُبْـــنيَ ، في موقفي
يخْفِقُ قلـــبي بالشَذَى باللَهَبْ
تَرَدُّدي يصرُخُ بي إرجعـــي
للشِعْرِ ، للأحلامِ ، فيمَ الهَرَبْ ؟

وخلْفَ نفسي هَمسَةٌ كالصَدَى
يكادُ يُفنيها النِّداءُ الجديدْ
تهتفُ بي : هيّا فكفُّ الرَدَى
أحْنَى على جُرْحِ الحياةِ المُبيدْ

وبين صَوْتَيْ قلبيَ المُزْدَرَى
وروحيَ العاشِقِ ضاعَ القَرارْ
ومرّتِ الساعاتُ ثم انطوتْ
ولم أزلْ في حَيْرَةٍ وانتظارْ

وعُدْتُ للمَعْبدِ ، لا جُثّةً
محمولةً بل جَسَداً ماشيا
أسخَرُ من نفسيَ مما جَرَى
وأزدري إحساسيَ الباقيا

١٩٤٥-٧-٣٠

سياط وأصداء

« كان على أرض الشارع المبلّلة جسد
حصان ، وكانت السياط ترتفع ثم
تهوي فلا تسقط الا على جرح »

ما زلتُ أذكُرُ كلَّ شيءٍ من صباحي الضائعِ
ألراقدُ الدامي المجرَّحُ فوق أرضِ الشارعِ
وصَدَى السياطِ المرهِقاتِ على الجبينِ الضارعِ

.

يا ثورةَ الإحساس في نفسي علامَ تَمَزُّقي
ألمي على الجَسَدِ الممزّقِ بعضُ ضَعْفي الأحمقِ
وغداً سأدفِنُ ما تبقّى من حناني المُرهِقِ

يا ليتني عمياءُ لا أدري بمـا تَجْني الشُرورْ
صمّاءُ لا أُصْغي الى وقـْعِ السياطِ على الظهورْ
يا ليتَ قلبي كان صَخْراً لا يعـذّبُهُ الشعورْ

يا ليتني ، مـاذا تُفـيدُكِ ، يا حياتي ، ليتني ؟
أحلامُكِ النَضِراتُ بانت في قُنوطِ مُحْزِنِ
لن يسمَعَ القَدَرُ المدمّرُ فاصْرُخي أو أذْعني

يا نارَ عاطفتي الرقيقـةِ ، يا غريبةُ في البَشَرْ
وَقـْعُ السياطِ على الظهورِ أشدُّ من وقـْعِ القَدَرْ
والحسُّ في هذا الوجودِ جريمـةٌ لا تُغْتَفَرْ

لن تقتلي الشيطانَ في الإنسانِ أو تُحْيي الملاكْ
وغداً ستطويكِ الليـالي في دياجيرِ الهـلاكْ
وغداً سيأسُرُكِ الترابُ فـلا شعورَ ولا حَرَاكْ

ما كانَ أثقلَ عبءَ أحلامي وآلامي وأقسى !

فامشي بنا نحو الفَنَاءِ لعلَّنا نَنْسَى ونُنْسَى

وليُسْدَلِ السِترُ المقدّسُ، حَسْبُنا غمّاً ويأسا

٢٤ - ١٠ - ١٩٤٦

نغماتٌ مرتعشة

عُدْ ، لم يَزَلْ قلبي نشيداً حالما
يشدو بحبِّكَ لحنُهُ المفتونُ
عُدْ فالكآبةُ أغرقَتْ بظلامها
روحي ، فلي أدمُعٌ وشُجونُ
عُدْ ، لا تَدَعْ نفسي يعذبها الأسى
ويَعَضُّ فيها خافقٌ محزونُ
عُدْ فالحياةُ - إذا رجعْتَ - أشعةٌ
ومشاعرٌ سِحْرِيَّةٌ وفُتُونُ

خطواتُكَ اللاّتي تباعَدَ رَجْعُها
في مسمعي ، تحتَ الظلامِ الشاحبِ
كلماتُكَ اللاتي تلاشَى وَقْعُها
وخَبَتْ بعيداً ، في السُكونِ الراعبِ
بَسَماتُكَ اللاتي خَبَت وَمَضَاتُها
في مُقْلَتِيَّ ، مع النهارِ الذاهبِ
ذابت جميعاً ، والستائرُ أُسْدِلتْ
في مَسْرَحِ الأملِ الجميلِ الغاربِ

ذهبَ النهارُ بشاعري ، بنشيدِهِ
وبَقِيتُ في غَسَقِ الظلامِ القاتمِ
أرنو ولا شيءٌ يروقُ لناظري
وأُصيخُ ، أين مَلاحني ومَلاحمي ؟
عُدْ ، عدْ الى روحي الغريبِ ، فأدمعي
عصفت بأفراحي وقلبي الساهمِ
عُـدْ يا نشيدي الشاعريّ لمسمعي
ماذا يعوّضُ عن صداكَ الحالمِ ؟

حبّي الإلهيُّ النقــيُّ ظلمتَــه
ووفاءُ روحي الشاعريّ العابــدِ
قلبي الرقيــقُ أساتَ فهمَ حنينِــه
ونشيدُ أحــلامي وروحُ قصائــدي
لم أدْرِ مــاذا كان ، الا رَعْشَةٌ
في روحيَ الولهى وقلــبي الشــاردِ
وخلا المكانُ وُعــدْتُ أسألُ وحشتي
عن طَيْفكَ الناسي وُحبّي الخــالدِ

ما زلتُ منذُ ذَهَبْتَ حَيْرتي في الدُجى
شهِدَ الأسَى أنيّ لزمتُ مكانيــا
ما زال روحي راعشاً متمزقــاً
يستنطــقُ السرَّ الغريبَ الخافيــا
وهمي يصوّرُ لي خُطَاكَ ووقْعَهــا
فاذا أصَخْتُ صَحَوْتُ من أحلاميا
لا شيءَ غيرُ الرّيحِ تَعْصِفُ في الدُجَى
لا شيءَ غير تَنَهُّدي وبكائيا

١ - ١١ - ١٩٤٦

المقبرة الغريقة

« من ذكريات الفيضان المخيف الذي ألم ببغداد سنة ١٩٤٦ ، هذه القصيدة تسجل فيها الشاعرة أثر سماعها بقصة مقبرة غمرتها مياه النهر المتوحش في مساء عاصف »

فِي ظُلْمَةِ الليلِ المُخيفِ الرهيبْ
وتحتَ هولِ العاصفِ الأهوجِ
قَبْرٌ على التلِّ وحيدٌ غريبْ
رانتْ عليه ظُلْمَةُ العَوْسجِ

قبرٌ وحيدٌ لم تَنَلْهُ المياهْ
مُعْتَصِمٌ بالقِمّةِ الساخرهْ
كأنّهُ يرمُقُ أُفْقَ الحياهْ
مُستهزئاً باللُّجَّةِ الدائرهْ

بالأمسِ قد كانَ هُنا عالَمٌ
يغمرُهُ الموتُ بأستارِهِ
يهفو عليه العَدَمُ القاتمُ
في وَجمةِ الصَمْتِ وأسرارِه

مقبرةٌ أودعها البائسونْ
أشلاءَ أمواتِهِمُ الفانيه
يا جُثثاً ما كفّنتها المَنُونْ
بغيرِ أطباقِ الثَرى العاريه

هذي الوجوهُ الشاحباتُ الجباهْ
وهذهِ الأشلاءُ والأعينُ
طفَتْ حَيارَى فوقَ وجْهِ المياهْ
وعضّ فيها العَدَمُ المُحزِنُ

يا نَهرُ لا تَقْسُ على الميِّتين
حسبُكَ ما سبّبتَهُ من شقاء
حسبُكَ ما شرّدتَ من بائسين
وارفَقْ بسُكّانِ الثّرى الأبرياء

رَوَّعتَ صمْتَ الأنفُسِ الراقده
في وَجْمةِ الموتِ وَصمتِ القبور
يا رحمةً بالجُثَثِ البارده
وليَكُ في موجِكَ بعضُ الشعور

في كلِّ رُكْنٍ من دُجَى المَقْبره
تَسْبَحُ أجسادٌ وتطفو عِظام
والرّيحُ في صَيْحاتها المُنْكَره
والليلُ ما زالَ رهيبَ الظلام

يا لَلْمساكينِ ، أحتّى المماتْ
تَلْحَقُهم لَعْنَةُ أيّامِهمْ ؟
ماذا جَنَوْا من مُبْهجاتِ الحياة
تُرَى وما ألوانُ أحلامِهمْ ؟

حتّى الرُقادُ الهادىءُ الآمنُ
يأبامُ إيّاهُ قَلْبُ السنينْ
يشهَدُ هذا المنظَرُ الساكنُ
أيُّ سُهادٍ ، أيُّ ليلٍ حزينْ

يا ضَجّةَ الإعصارِ لا تملأي
آفاقَ هذا العالمِ المُشتكي
وأنتِ يا أمواجُ لا تهزأي
بذلكَ الطافي على وَجْهكِ

لم يُبْقِ منه الدودُ شيئاً يُرى
ولم يَذَرْ منه الرَدَى باقيا
هذا الرُفَاتُ الكالحُ المُزْدَرى
قد كان بالأمس فتىً لاهيا

يَنْسجُ تحتَ الليلِ ثوبَ الضياءْ
وينشُرُ الحبَّ على العالَمِ
جذلانَ لا يعرفُ معنى الفناءْ
مُسْتغرِقاً في نشوةِ الحالمِ

أهكذا تَفْنَى أغاريدُنا
ويهزأُ الموتُ بأزهارها
وتملأُ الدنيا أناشيدُنا
يوماً ، ونَنْطوي تحت أحجارِها

ما أفظعَ المبـــدأ والمُنْتهَى
مــا أعمقَ الحُزنَ الذي نحملُ
ترفعُنا الأحلامُ فوقَ السُّهَا
وتهـــدمُ الأيّامُ مــا نأملُ

وهــذه المقـــبرةُ المُظْلِمه
نهـايةُ المَسْعَى ، فيا للَشقاءْ
أبعد هــذي الجَنّةِ المُلهِمــه
نسقطُ، فوقَ الشوكِ، صَرعى الفناءْ

بكيتُ لـــلأمواتِ طولَ المساءْ
وصُغْتُ من دمعي النشيدَ الحزينْ
وفي غــدٍ أرقُــدُ تحتَ السَمَاءْ
قبراً سيبكي عنــدَهُ العـــابرونْ

قبرٌ ، على التلِّ ، وحيدٌ غريبْ
رانتْ عليــــه ظُـلّـةُ العَوْسجِ
في ظُلْمة الليلِ العميقِ الرهيبْ
وتحت هولِ العــاصِفِ الأهوجِ

١٣-٥-١٩٤٦

عَودةُ الغريب

قلبيَ الذابلُ الحزينُ الذي ماتَ
وذابتْ أفراحُهُ ومُناهُ
قلبيَ الشاردُ ، المعذّبُ بالأحلامِ
ما بينَ دمعِهِ وأساهُ
مالَهُ الآنَ خافقاً بندَى الحبّ
يُغنّي ، تحتَ النجومِ ، هَواهُ
ويصوغُ المُنَى ويَرْجِعُ للشاطىءِ
جَذْلانَ مُرْسِلاً نجواهُ

في غِمارِ الماضي دفنتُ دُموعي
وتبسّمتُ للغَدِ المِمْراحِ
ظَمَأي لم يَعُدْ يعذّبُ روحي ،
وشرودي تحت الدُجَى والرّياحِ
ذهبَ البحرُ ، لم يَعُدْ ماؤه المِلْحُ
يُدوّي على مَسيلِ جِراحي
ها أنا عندَ منبعٍ شاعريٍّ الماءِ ، صافٍ
هامتْ به أقداحي

ها أنا الآنَ زورقٌ حالمُ المجدافِ
يَرْسو على رمالِ الضِفافِ
قلبيَ الشاعريُّ ملاحُهُ الباسمُ
يشدو سرّ الوجودِ الخافي
شدّ ما عذّبتْ أغانيَهُ الغُرْبةُ ،
واشتاقَ فتنةَ الصَفْصافِ
أبداً في عرض المياهِ ينادي البحرَ ،
يا بحرُ طال فيكَ طَوافي

أيتها الطائفُ الغريبُ ، لقد عُدْتَ ،
وهذي مفاتنُ الآجامِ
هي ذي الضِفّةُ الحبيبَةُ ، يا ملاّحُ ،
هذي شواهقُ الآكامِ
إنها جنّةُ الحياةِ ،
تلاقتْ عندها الذكرياتُ بالأحلامِ
فاهبِطِ الآنَ ، وانسَ أشباحَكَ السودَ
وذكرى الماضي الحزينِ الدامي

يا غريبَ الأحلامِ
إمسَحْ بقايا الأمسِ والذكرياتِ والأحزانِ
أصبحَ الأمسُ صَرْخةً في حِمَى الماضي
طوتْها ستائرُ النسيانِ
كلُّ أحزانِهِ العميقاتِ
عادتْ لفظةً ضمّها سكونُ الزّمانِ
أطفأتْها الأيّامُ فهي ظلامٌ
ولهيبٌ خابٍ وطيفٌ فانِ

لا تُثِرْهُ ، دعْهُ يَنَمْ أبدَ الدهْرِ
وعشْ أنتَ ضاحكَ الأهواءِ
أيها الميّتُ الذي نبضَتْ فيه معاني الحياةِ
بعد الفناءِ
أيّها الظامىءُ الذي أبصَرَ النبعَ قريباً ،
بعد الصَدَى والشقاءِ
إملأ الكأسَ ،
آن للظمأ المحرقِ أن يرتوي بشهدِ الرّجَاءِ

ذلكَ الماردُ الحقيرُ
ثوَى في ظُلُماتِ الأمسِ البعيدِ وغارا
لن تَراهُ الأمواجُ في البحر ، بعدَ الآنِ ،
لن يملأ النجومَ احتقارا
لن يُحيلَ الأحلامَ فيكَ دموعا
ويُعيدَ الأنغامَ هَوْلاً ونارا
انه الآنَ مُغْرَقٌ في حِمَى الموجِ
فلا تَخْشَ حقدَهُ الجبّارا

والحياةُ التي تلقتْكَ بالزَهْرِ
ترنمْ بها تلالاً وعُشْبا
هَبْ لها يا ملاّحُ قلباً من النُور
وروحاً ، كالشعر والحبّ ، عَذْبا
هَبْ لها ما ملكْتَ ، شوقاً وأشعارا
وعشْ للجَمال روحاً وقلبا
صُغْ لها البحْرَ كلّهُ في نشيدٍ
أرضعتْهُ النجومُ ضوءاً وحُبّا

عاد ذاك الغريبُ ، يا معبدَ الحبّ ،
فمُدّ الجَناحَ فوقَ أساهُ
إن يكنْ ضلّ قلبُهُ أمسِ في البحْرِ ،
فقد كفّرَتْ دموعُ صِباهُ
علّمَتْهُ عواصفُ الليلِ حُبّ الفجرِ ،
فلْتَلْمسِ السَنَا عيناهُ
ولْتَضِعْ في الماضي البعيدِ المجاديفُ ،
وتلكَ الرّياحُ والأمواهُ

أنسِهِ حبَّهُ الذي ماتَ ،
وامنح قلبَهُ الشاعريَّ حُلْماً جديدا
حَسْبُهُ ما أشْقَيْتَهُ أمسِ بالذكرى
فهَبْهُ الحياةَ ظِلاً رغيدا
بمعانيكَ قرْبِ النَجْمَ والسُحْبَ لعينيهِ
والصِبا والخُلودا
يا شبابَ الحياةِ ، يا فرحةَ الدُنْيا ،
ويا بابَ نُبْلِها المفقودا

١٤ ـ ١١ ـ ١٩٤٦

الغروب

هبط الليلُ وما زالَ مكاني
عند شطِّ النهرِ ، في الصمتِ العميقِ
شردتْ روحي ، وغابتْ عن عِيَاني
صُوَرُ الحاضرِ والماضي السحيقِ
وامَّحَى في خاطري ذِكرُ الزَّمانِ
وتلاشَتْ ذِكَرُ الدَّهرِ المُحيقِ
ليسَ إلا الحُزْنُ يمشي في كياني
وأنا في ظُلمةِ الليلِ الصديقِ

غَرِقَ الضـــوءُ وراءَ الأفُقِ
وخلا العـــالَمُ من لون الضيـــاءْ
ليس الاّ رَمَقٌ في الشَفَقِ
حائلٌ قــد كاد يمحوهُ الفَنَـاءْ
وأنا تِمثالُ حُزْنٍ مُحْرِقِ
وشَقَـــاءٌ مُطْبِقٌ فوقَ شَقَاءْ
أرمُقُ الأفْقَ بطَرْفٍ مُغْـــرَقِ
تائهٍ يَطْوي دياجـــيرَ الفَضَاءْ

رفَّ حولي الليلُ والصمْتُ الكئيبُ
وتمشّتْ في كِيـــاني الرَعَشاتُ
أيُّ معنىً هــاجَ في نفسي الغُروبُ؟
أجفلتْ في جَسَدي منه الحياةُ
وسَرَى في مسمعي هَمْسٌ غريبُ
كلّهُ هــولٌ ورُعْبٌ وشَكَاةُ
واعتراني خــاطرٌ مُشْجٍ رهيبُ
وتَجَلّى لخيــالاتي المماتُ

ها أنا وحـــدي تـُنَاجيني غـُمومي
وكـآباتي وأشبـــاحُ الفَنَـــاءِ
كلُّ ما حولي مُثـــيرٌ للوُجومِ
مَصْرَعُ الشمسِ وأحزانُ المساءِ
عبثاً أطرُدُ عن نفسي هُمومي
عبثاً أرجو شُعاعاً من رَجَـــاءِ
غـَرِقـَتْ أحلامُ قلبي في الغيومِ
وتلاشت مثل أحـــلامِ الضياءِ

أقـْفَرَ العـــالـَمُ حولي لا نشيدُ
من صبيٍّ أو هُتَـــافٌ أو حفيفْ
وخـــلا شاطئيَ الساجي المديدُ
ومَشَتْ في الجـوِّ أحزانُ الخريفْ
أنا والأمــواجُ واليأسُ الشديدُ
والحـدارُ الشطُّ والظـلُّ الوريفْ
وحـواليَّ ظـــلامٌ وركـودُ
ألقيا الحُزْنَ على حِسّي الرهيفْ

من بعيدٍ أبْصرُ الراعي الحزينْ
يُزْجِع الأغنامَ في صمْتِ الغروبْ
مُطْرِقاً أتعَبهُ ركْبُ السنينْ
فقضاها في نحولٍ وشُحوبْ
هو والأغنامُ حُزنٌ وسكونْ
وخُطىً في مَسمعِ الليلِ الرهيبِ
وأنا أرمقُهمْ غَرْقى الجفُونْ
تحتَ أحلامِ شبابي وكروبي

.

وبعيداً في الفَضاءِ المدْلهمّ
خَفْقَةٌ من جُنْحِ طَيْرٍ عابرِ
فاجأتْهُ ظُلْمةُ الليلِ المُلِمّ
وجبالٌ من سَحَابٍ ماطرِ
فسَرَى بينَ دياجيرَ وغيمِ
كخيالٍ في فؤادِ الشاعرِ
لحظةً ، ثم توارَى في الخِضَمّ
بين أمواجِ الظلامِ الغامرِ

آهِ ما أرهبَهُ الآنَ سكونا
لا أعي فيهِ سوى دقّاتِ قلبي
صَمَتَ الكونُ ونام المُتْعَبونا
وهْوَ ما زالَ صَدَى حُزنٍ وحُبْ
نَظَراتي لم تَزَلْ حُلْماً حزينا
وخيالاتُ مسائي لم تَعُدْ بي
طفقت تصعَدُ بي أُفْقَ السنينا
وترودُ الكونَ من شَرْقٍ لغَرْبِ

ونُبَاحُ الكلبِ في الحَقْلِ البعيدْ
رفَّ في سَمْعي ضئيلاً مُجْهَدا
مُوحشاً في ظُلْمة الليلِ الوليدْ
غامضَ الوَقْعِ ، غريباً كالصَدَى
كلُّ صَوْتٍ في الدُجَى رُعْبٌ جديدْ
عندَ مَنْ قد كان مثلي مُفْرَدا
ذا فؤادٍ مُرْهَفِ الحسِّ شَريدْ
دَفَنَ الأمسَ ولم يَرْجُ الغدا

ومِيـــاهُ النَّهْرِ تجري في شُحوبْ
تحتَ أكداسِ الغيومِ الجـــاثماتْ
وصَدَى طـــاحونةِ القَمْحِ الغريبْ
يُكْتئبُ النفسَ بأشجَى النَغَـــماتْ
هكذا مرَّ على روحي الغُروبْ
غـامضَ الظـلِّ حزينَ الخُطُـواتْ
فوَداعاً أيُّهـا الجـرْفُ الكئيبُ
ووَداعــاً يا غِمارَ الظُلُماتْ

١٩٤٦-١٢-١

عاشقة الليل

يا ظلامَ الليلِ يا طاويَ أحزانِ القلوبِ
أُنظُرِ الآنَ فهذا شَبَحٌ بادي الشُحوبِ
جاء يَسعَى ، تحتَ أستارِكَ ، كالطيفِ الغريب
حاملاً في كفه العودَ يُغنّي للغُيوبِ
ليس يَعنيهِ سُكونُ الليلِ في الوادي الكئيبِ

هو ، يا ليلُ ، فتاةٌ شَهِدَ الوادي سُرَاها
أقبلَ الليلُ عليها فأفاقتْ مُقلتاها
ومَضَتْ تستقبلُ الواديْ بألحانِ أساها
ليتَ آفاقَكَ تدري ما تُغنّي شَفَتاها
آهِ يا ليلُ ويا ليتَكَ تدري ما مُنَاها

جَنّها الليلُ فأغرتها الدَّياجي والسكونُ
وتَصبّاها جمالُ الصَّمْتِ، والصَّمْتُ فُتُونُ
فنَضَتْ بُرْدَ نهارٍ لفَّ مَسْراهُ الحنينُ
وسَرَتْ طيفاً حزيناً فاذا الكونُ حزينُ
فمن العودِ نشيجٌ ومن الليلِ أنينُ

إيهِ يا عاشقةَ الليلِ وواديهِ الأغَنّ
هوذا الليلُ صَدَى وحيٍ ورؤيا مُتَمَنّي
تَضْحكُ الدُنْيا وما أنتِ سوى آهةِ حُزْنِ
فخُذي العودَ عن العُشْبِ وضُمّيهِ وغنّي
وصِفي ما في المساءِ الحُلْوِ من سِحْرٍ وفنّ

ما الذي، شاعرةَ الحَيْرةِ، يُغري بالسماءِ؟
أهي أحلامُ الصَّبايا ام خيالُ الشعراءِ ؟
أم هو الإغرامُ بالمجهولِ أم ليلُ الشقاءِ ؟
أم ترى الآفاقُ تَستهويكِ أم سِحرُ الضياءِ؟
عجبــاً شاعرةَ الصمْتِ وقيثــارَ المساءِ

طيفُكِ الساري شحوبٌ وجلالٌ وغموضُ
لم يَزَلْ يَسْري خيالاً لَفّه الليلُ العريضُ
فهو يا عاشقةَ الظُّلْمــة أسرارٌ تَفيضُ
آه يا شاعرتي لن يُرْحَمَ القلبُ المَهيضُ
فارجِعي لا تَسْألي البَرْق فما يدري الوميضُ

عَجَباً ، شاعرةَ الحَيْرةِ ، ما سرُّ الذُهُولِ ؟
ما الذي ساقكِ طيفاً حالماً تحتَ النخيلِ ؟
مُسْنَدَ الرأسِ الى الكفّينِ في الظلِّ الظليلِ
مُغْرَقاً في الفكر والأحزانِ والصمتِ الطويلِ
ذاهلاً عن فتنةِ الظُلْمةِ في الحقلِ الجميلِ

أنْصتي هذا صُراخُ الرعْدِ ، هذي العاصفاتُ
فارجِعي لن تُدْركي سرّاً طوتْهُ الكائناتُ
قد جَهِلْنــاهُ وضنّتْ بخفــاياهُ الحياةُ
ليس يَدْري العاصفُ المجنونُ شيئاً يا فتاةُ
فارحمي قلبَكِ ، لن تَنْطِقَ هذي الظُلُماتُ

٤ – ٤ – ١٩٤٥

في وَادي الحيَـاة

عُدْ بيَ يا زورقي الـكليلا فلن نـَرَى الشاطئَ الجميلا
عُدْ بيْ إلى مَعْبدي فإنـّي سئمتُ يا زورقي الرحيـلا
وضِقْتُ بالموج أيّ ضيقٍ وما شَفَى البحرُ لي غليلا
إلامَ يا زورقي المُعَنّى نرجو الى الشاطىء الوصولا ؟
والموجُ من حوْلِنـا جبالٌ سدّتْ على خطْونا السبيلا
والأفْقُ من حوْلِنا غيومٌ لا نجْمَ فيه لنا دليـلا
كم زورقٍ قبلـَنـا تولّى ولم يَزَلْ سـادراً جَهُولا
فعد الى معبـدي بقلبي وحسْبُ أيامنـا ذهولا

حسبُكَ يا زورقي مَسيراً ... لن يُخْدَعَ القلبُ بالسَّرابِ
وارجِعْ، كما جئتَ، غيرَ دارٍ ... قد حَلَّكَ الجوُّ بالسَّحابِ
ومِلْ بِمِجْدافِكَ المُعَنّى ... تقلُّبَ الموجِ والعُبَابِ
ولم يَزَلْ معبدي بعيداً ... خلفَ الدياجيرِ والضَّبابِ
يَشُوقُني الصمتُ في حِمَاهُ ... وفتنةُ الأيكِ والروابي
عُدْ بيَ يا زورقي إليهِ ... قد حانَ، يا زورقي، إيابي
ما كفكفَ البحرُ من دموعي ... ولا جَلاَ عنّيَ اكتآبي
ففيمَ في موجِهِ اضطرابي ؟ ... وأينَ، يا زورقي، رِغَابي ؟

تائهةٌ، والحياةُ بحرٌ ... شاطئُهُ مُبْعِدٌ سحيق
تائهة والظلامُ داجٍ ... والصمتُ تحتَ الدُجَى عميق
يا زورقي آهِ لو رجَعْنا ... من قبلِ أن يخبوَ البريقُ
أنظرْ حواليكَ، أيُّ نَوْءٍ ... تجمّدُ من هولِهِ العُروقُ
البحرُ، يا زورقي، جنونٌ ... وموجُهُ ثائرٌ دَفوقُ
وكلَّ يومٍ له صريعٌ ... في هَجْعةِ الموتِ لا يُفيقُ
وأنتَ في الموج والدياجي ... يا زورقي في غدٍ غريقُ
فعُدْ الى الأمسِ، عُدْ إليه ... قد شاقني أمسيَ الوريقُ

ماذا وراء الحياةِ ؟ ماذا ؟ أيُّ غمُوضٍ ؟ وأيُّ سِرٍّ ؟
وفيمَ جئنا ؟ وكيف نمضي ؟ يا زورقي ، قُلْ ، لأيِّ بحرٍ ؟
يــدفعُكَ الموجُ كلَّ يومٍ أينَ ترى آخِرُ المَقَرِّ ؟
يا زورقي طــال بي ذُهولي وأغرقَ الوهمُ جوَّ عُمْري
أمْري كما ترسُـمُ المقاديـــرُ لي الى حيثُ لستُ أدري
شريدةٌ في دُجَى حيــاتي سادرةٌ في غـموضِ دَهْري
فخافقٌ شــاعرٌ ، وروحٌ قال لها الدَهْرُ لا تَقَرّي
وناطَها بالذُرَى تُغنّي وتنظِمُ الكونَ بيتَ شِعْرِ

١٢-٦-١٩٤٥

أشواق وأحزان

أينَ منّي حرارةُ الأمسِ
والحاضرُ يمشي بين الأسَى والخُمودِ ؟
أسفاً للماضي الإلهيّ ،
هل ماتتْ أغانيهِ في فؤادي الوحيدِ ؟
آه يا شاعري ، لماذا تهاوَيْتَ بعيداً ،
وراءَ أمسي البعيدِ ؟
وأنا لم أزلْ صلاةً لعينَيْكَ
وإعصارَ لَهْفةٍ وشُرودِ

آهِ هل غابَ عن ظلام حياتي
كلُّ ما كان نَشْوةً وفُتُونا ؟
كيف ضاعَ الحبُّ الإلهيُّ يا طائريَ الحُرُّ
فانفجرتَ ظُنونا ؟
وأنا لم أزَلْ فؤاداً على الشَوقِ
يُداري غرامَهُ المدفونا
ليتني كنتُ بُحتُ ، يا حُلُمَ الروحِ ،
وأعلنتُ حُبّيَ المكنونا

كيف مرّتْ أيّامُنا ؟ كيف مرّتْ
بين فَلَكَيِ الأشواقِ والأحزانِ ؟
ملءَ قلبي وقلبكَ الحبُّ والشوقُ
ولكنْ نلوذُ بالكِتْمانِ
كلّما حدّثتْكَ عَيْناي عن حُبّي
أعاقبُ عينيَّ بالحِرْمانِ
كيفَ ، يا شاعري ، كَتَمْنا
ولم يَعضِ كِيوبيدَ ، قبلنا ، عاشقانِ ؟

كيف ضاعتْ عواطفي ؟
كيف أنسَوْكِ غرامي ، وحَيْرتي ، ووَفائي ؟
ملأوا قلبَكَ النبيلَ أباطيلَ
وصاغُوا كواذبَ الأنباءِ
وقضَيْتُ الأيّامَ أذرِفُ إحساسي دُموعاً
وأستلذُّ شقائي
لا لقاءٌ غيرَ الظنُونِ
ولا فرحةَ غيرَ الخيالِ والأصداءِ

أنتَ أنتَ الذي احتفظتُ بذكراهُ
فلم يَنْسَها فؤادي الوفيُّ
كيف غابتْ عن ذكرياتكَ أحلامي ،
وشوقي ، وحُبّيَ الروحيُّ
شَهِدَ العودُ كيف علَّمتُهُ حُبُّكَ مثلي ،
فهو المحِبُّ الشقيُّ
شَهِدَ المعبدُ الكئيبُ لحبّي
أنَّ حبّي مُخلَّدٌ أبديُّ

يا نشيدي ، متى ستأتيكَ ألحاني
فتُصغي الى هُتافاتِ حبّي ؟
فيمَ أقضي الأيامَ أكتُمُ أشواقي
وقد ضاقَ بالعواطفِ قلبي ؟
أبداً نلتقي فأعرضُ حيرَى ،
ولقلبي الكئيب أشواقُ صَبّ
إنها الكبرياءُ تمتلكُ الرُوحَ
فيبدو المحبُّ غيرَ مُحبّ

ضاع عُمري الحزينُ في معبد الحُزنِ ،
وأذوتهُ لهفتي وشكاتي
لم يزَلْ حبّيَ العميقُ عميقاً
لم تزِدهُ السنينُ غيرَ ثباتِ
لم أزَلْ تضحكُ النجومُ ، وتبكي ،
وتُغنّي على صدَى آهاتي
لم أزَلْ في الحياة ورقاءَكَ الحَيرَى
وما زلتَ أنتَ حُلمَ حياتي

١٥ ـ ٣ ـ ١٩٤٥

مدينة الحب

في عُمق صحراء الحياةِ ، هناك فوق لظى الرمالْ
حيثُ الرياحُ الداوياتُ ، مدينةٌ بينَ التلالْ

في قلبها نهرٌ تحيط به المفاوزُ والصخورْ
وشواطىءٌ لا ظلّ فيها ، لا خمائلَ ، لا عطورْ

الماءُ يبدو وادعاً ووراءه الألمُ العميقْ
أمواجُه السُمُّ الزُعافُ وإن بدا حُلْوَ البريقْ

كم زورقٍ خدعتْه جنيّاتُه ورسومُهُ
كم حالمٍ أودتْ به أمواجُه وسمومُهُ

والشاطىءُ الثـــاني يلوّحُ بالجَمالِ وبالفتون .
حتى اذا قاربتَهُ أبصرتَ إعصـــارَ المَنُون

لا شيءَ غيرُ الشوكِ والاشلاءِ فوق صُخورهِ
لا صوتَ يُسْمَعُ غيرُ ضجّةِ دودِهِ ونسورهِ

أالليلُ فيه مخـــاوفٌ ووساوسٌ لا تَخمَدُ
أبـــداً يزلزلُهُ صُراخٌ غامضٌ وتنهُّـــدُ

يا طارقَ البابِ المروّعِ عُدْ ولا تهبِطْ هُنا
هذا الجمـــالُ سيستحيلُ دمـــاً وماءً آسنا

هذي الشواطىءُ ، كلٌّ ما فيها أسىً وتحسُّرُ
فحذارِ منها فالسُمومُ مُعَـــدّةٌ والخَنجَرُ

عينـــاكَ لا تسكُبْ بريقهُما على ظُلُماتِها
وصِباكَ لا تـــدفِنْ مُناهُ في شقاءِ حياتِها

، وفؤادُكَ الخفّـاقُ صُنْهُ من قـذَى آثامِها
ماذا رأيتَ من الحيـاةِ لتحتمي بظلامِها ؟

عُدْ، عدْ الى لَـهَب الصحاري وانجُ من حمّم المدينه
لا تُلْـقِ قلبَكَ في اللـظَى وأصغِ لشاعرةٍ حزينه

١٩-٧-١٩٤٦

إلى عينين حزينتين

عيـــنيَّ ، أيُّ أسىً يرينُ عليكما
ويثيرُ في غَسَقِ الدُجَى دمعيكمـــا ؟

إني أرى خلفَ الجُفُونِ ضراعـــةً
تستنطقُ الكونَ العريضَ المُبْهمـــا

أفُـقــــانِ تحت الليـــلِ ألمحُ فيهما
قَـطـَراتِ ضــــوءٍ يرتشفنَ الأنجمـــا

ألكونُ مبتسمٌ فأيَّـــةُ لوعـــةٍ
يا مقلتيَّ تـــلوحُ في جَفْنيكمـــا ؟

مسكينتانِ ، رأيتُما مــا لا يَرَى
جيلٌ أقام على الضــلال وحَوَّمــا

جَهِلَ الحقــائقَ في الحيــاة ، فلم يُطِقْ
عن زيفهــا هَرَباً وعاش مهوِّمــا

مسكينتانِ كتمتُما حُمَمَ الأســى
فــأبى تــأوّهُ خــافقي أنْ تكتما

فاذا الدموعُ غِشاوةٌ رفّتْ على
جَفْنيكما ، سيلاً سخيناً مُفْعَما

ورأيتما ، خَلَلَ الدُموعِ ، مفاتنَ الـ
ـماضي وطاف الشوقُ في أُفْقيكما

عبثاً تسوغــان التوسّلَ في الدُجى ،
قلبٌ القضاء قَضَى بألا تَنْعَما

عبثاً ، فيا عينيّ لا تتضرّعا ،
لا شيءَ يَرْجِعُ بالجَمالِ إليكما

حسبي وحسبُكما الرُضوخُ لما قَضَى
قلبُ الليالي فارضَخا واستسلِما

كم حالمٍ من قَبْلِنا فَقَدَ المُنَى
فَقَضَى الحياةَ لوحدِهِ متجهّما

يرعى الليالي ماثحاً ظُلُماتِها
روحاً مجنّحةً وقلباً مُلْهَما

عينيّ ، يا سرّ الطبيعةِ ، حدّثا
ماذا وراءَ الكائناتِ رأيْتُما ؟

رفعتْ دياجيرُ الحياةِ ستورَها
لكما وأبدتْ سرّها المُسْتَبْهِما

هاتا حديثَ المـــوت ، هـــاتا سرَّهُ
قد آن ، يا عيـــنيّ ، أن تتكلما

ما شاطىءُ الأعرافِ ؟ ما ألوانُــــهُ ؟
ما سرُّه الخـــافي ؟ صِفاهُ وتَرْجِما

في صدريَ الخَفـّــاقِ قلبٌ راعشٌ
مـــا زالَ صَبّـــاً بالمفـــاتن مُغرَمـــا

لولاهُ ، يا عيـــنيّ ، مـــا غنّيتُــما
بهَوَى الحيـــاةِ ولا أصابكما الظّـــما

عُـــذراً اذا حُمّلتُــما حُزْنَ الدُنا
لولايَ ، يا عيـــنيّ ، مـــا حُمّلتُـــما

وكفى فؤادي ، في الحيـــاة ، شَقاوةً
أنـّي جنيتُ ، مـــع الحياةِ ، عليكمـــا

٢٥ - ٦ - ١٩٤٥

خواطر مسائية

إذا زَحَفَ الليلُ فوق السُّهُوبْ
ومرّتْ على الأفْق كفُّ الغيومْ
ولم يَبْقَ غيرُ السكونِ الرهيبْ
ونام الدُجَى تحت جُنْحِ الوجومْ

ولم يبقَ إلا نُوَاحُ اليمامْ
وهمسُ السواقي وأنّاتُها
ووقْعُ خُطَى عابرٍ في الظلامْ
تمرُّ وتخفتُ أصواتُها

جلستُ أناجي سكونَ المَسَاءْ
وأرمُقُ لونَ الظلامِ الحزينْ
وأرسلُ أغنيتي في الفضاءْ
وأبكي على كلّ قلبٍ غبينْ

أصيخُ الى هَمَسَاتِ النسيمْ
وأسمعُ في الليلِ وقعَ المَطَرْ
وأنّاتِ قُمْريّةٍ في الظلامْ
تُغنّي على البُعْدِ بين الشَجَرْ

وآهاتِ طاحونةٍ ، من بعيدْ
تنوحُ المساءَ وتشكو الكَلالْ
تمرُّ على مسْمعي بالنشيدْ
وتفتأ تصدَحُ خلفَ التلالْ

أصيخُ ولا صوتَ غيرُ الأنينْ
وأرنو ولا لونَ غيرُ الدُجَى
غيومٌ وصمتٌ وليلٌ حزينْ
فلا عَجَبٌ أن أحِسَّ الشَجَا

رأيتُ الحياةَ كهذا المساءْ
ظلامٌ ووحشةُ جوٍّ كئيبْ
ويحلمُ أبناؤها بالضياءْ
وهمْ تحت ليلٍ عميقٍ رهيبْ

طبيعتُها أبداً باكيه
فصمتُ الدُجَى وأنينُ الرياحْ
وتنهيدةُ النَسَمِ الساريه
ودمعُ النَدَى في عُيونِ الصباحْ

وأبصرتُ عند ضفافِ الشقاءْ
جموعَ الحزانى وركبَ الجياعْ
تُشرّدُهم صرخاتُ القضاءْ
وما أرسلوا همساتِ الوداعْ

وأصغيتُ لكن سمعتُ النشيجْ
يُدوّي صداهُ على مسمعي
وراءَ القصورِ وفوقَ المروجْ
فمن يا ترى يتغنّى معي ؟

سأحملُ قيثارتي في غدِ
وأبكي على شجَنِ العالمِ
وأرثي لطالعِهِ الأنكدِ
على مسمعِ الزمنِ الظالمِ

٢٤ ــ ١١ ــ ١٩٤٥

التماثيل

«هدية الى قائمة الاسماء الغامضة
المنطفئة التي جاءت في سفر التكوين
من كتاب العهد القديم»

قد سئمتُ التفكيرَ يا ليليَ الساجي
وألقيتُ بالكتابِ الحبيبِ
لم تعدْ هذه الصحائفُ توحي لي
بغير الحزنِ العميقِ المُذيبِ
فهيَ صوتُ الآباد يحملُهُ الماضي
الى قلبيَ الشَجِيِّ المشبوبِ
فيدوّي ، في عمق نفسيَ
صوتُ العَدَمِ المرّ والفَناءِ الكئيبِ

أسفاً يا حياةُ ! ما هذهِ الأسماءُ ؟
ماذا قد كانَ من أهليها ؟
كيفَ مرّتْ أيّامُهم ، ليتَ شِعْري ؟
أترى أدركوا السّعَادةَ فيها ؟
أم ترى لم يكنْ لهم ، من جنّاها ،
غيرَ كأسٍ من سُمّها رشفوها
وطَوَوْا لُجّةَ الحياةِ سِراعاً
ثم ألقَوْا أعباءها ونَسُوها

أسلموا للترابِ والموتِ والظلمةِ
تلكَ القلوبَ ، دونَ رجاءِ
وطوتْهم يدُ الزمانِ
ولم تستبقِ منهم شيئاً سوى الأسماءِ
آه يا موتُ ، يا مقادرُ ، يا تاريخُ ،
رفقاً بأنفس الأحياءِ
اكذا يُسْدَل الستارُ على الأعمارِ ؟
يا لَلأحزانِ ! يا لَلْشقاءِ !

ليتَ كفَّ النسيانِ قد محتِ الأسماءَ من قبلُ ،
ليتها لم تَصُنْها
ليتها لم تَدَعْ على صَفَحَاتِ الكُتْبِ ،
ظلاًّ منها يحدّثُ عنها
وكتها سُخريةً في فم الدّهْرِ
وهُزْءاً من الحياةِ ومنها
يا حياةً هِمْنا بها وهي ليلٌ
يأمُرُ الموتُ ، في دُجَاهُ ، وينْهَى

أتهذي الأسماءُ ، يا من تبقّيتِ
تماثيلَ ليسَ فيها حياةُ
أنتِ يا من بالأمسِ كنتِ شعوراً
وقلوباً تَشُوقُها النَغَماتُ
كلُّ لفظٍ وراءَ أحرُفِهِ معنى حياةٍ
أتى عليها المماتُ
كلُّ لفظٍ قلبٌ مَشَى تحتَ ضوءِ الشمس يوماً
وملؤه الرّغَباتُ

وأستحالتْ تلك القلوبُ رَمَادا
واستحالتْ أعمارُها ألحانا
كلُّ حيٍّ مَشَى به الأهلُ والأصحابُ للقَبْرِ
يائسينَ حَزَانى
وتصدَّى للذكرياتِ الحزيناتِ
فتىً شاعرٌ يذوبُ حنانا
فشَدَاها أغنيّةً ظنّها تُبْقي حياةَ المَوْتَى
وتَعْدو الزمانا

آهِ يالَلْمخدوعِ ، قد بَقِيَ اللحنُ
ولكنْ أين الذينَ شَدَاهُمْ ؟
أينَ ألحانُهم ؟ وأين أماني عمرهم ؟
أو حقولُهم وقُرَاهُمْ ؟
أينَ ما حدّثوا به الليلَ والفَجْرَ ؟
وأينَ ابتهاجُهم وأساهُمْ ؟
أسفاً شاعري ! لقد باد موتاكَ ،
وأبقيتَ في الوَرَى ذكراهم

ما تُفيدُ الذكرى وقد خبَتْ الألحانُ
واستسلمتْ لأيدي السكونِ ؟
واستحالَ الأحياءُ في الكتْبِ أسماءً
تُثيرُ الأسى لقلبي الحزينِ
لستُ أدري ماذا حوَى كلُّ لفظٍ
من معَانٍ غابتْ وراءَ السنينِ
لستُ أدري إلاّ أساي وحُزْني
لضَحايا الماضي وصَرْعى المَنُونِ

وأنا يا حياةُ ، ماذا سألقَى ؟
هل سأغدو لفظاً جفتْه المعاني ؟
هل ستطويني الليالي وتُلْقي
فوق عُمري دياجرَ النسيانِ ؟
وغداً يُطفىءُ الزمانُ سراجي ؟
ويُضيع الرَدَى صَدَى ألحاني ؟
ثم أغدو بين التماثيل تمثالاً ؟
وأُمحى من الوجود الفاني ؟

آهِ لا ، لا أريدُ ،
فلْترحمِ الأيّامُ دمعي وشَقْوتي واكتآبي
ولْيكن من لحني الحزينِ صدىً باقٍ
بسَمْعِ السنينِ والأحقابِ
رحمةً لا تكنْ دموعي الدّفُوقاتُ
رثاءً مبكّراً لشَبابي
ولْيُسَجّلْ ، على ضريحيَ ، ما يُبْقي شبابي
وإن أكنْ في التُّرابِ

هكذا ينتهي شعوري بحِرْماني
وأنسَى مأساةَ عُمْري الخادعْ
وأعَزّى بأنّ في الكونِ ، من قلبي ،
بقايا من الأسَى والمدامعْ
ويقولونَ : ذلك اسْمُ فتاةٍ
طالما غنّتِ النجومَ اللوامعْ
فسلامٌ على أسَاها وذكراها
سلامٌ على صِبَاها الضائعْ

٣-٦-١٩٤٦

ذات مساء

ثورةٌ مـــن ألمٍ ، من ذكرياتٍ
خلفَ نفسي ، ملءَ إحساسي العنيفِ
وجُمـــوحٌ في دمي ، في خلَجـــاتي
في ابتسامـــاتيَ ، في قلـــبي اللهيفِ

إن أكنْ أبسِمُ كالطفـــلِ السعيدِ
فابتســـاماتيَ وَهْمٌ وخِـــداعْ
إن أكنْ هادئةً بين الورودِ
ففـــؤادي في جُنونٍ وصِراعْ

أيُّ مأساةٍ تَراها مُقْلتايا!
أيُّ حزْنٍ عاصرٍ في نَظَراتي!
جَمَدَتْ فوقَ شفاهي شَفَتايا
وانحنتْ كفّايَ تحت الرَعَشَاتِ

لا تَسَلْني عن خيالاتي ولحني
فالدجى الآنَ بغيضٌ في عيوني
أينَ ألقى بَصَري الباكي وحُزْني
إن أنا حوّلتُ عن كفيّ عيوني؟

أينَ أرنو؟ كلّما حوّلتُ عيني
طالعتْني صورةُ الوجهِ اللهيفِ
ذلكَ الوجْهُ الذي ألهبَ فنّي
بمعاني الشعْرِ والحبِّ العنيفِ

أيها الغادرُ ، لا تنظرْ إليّا
قد سئمتُ الأملَ المُرَّ الكذوبا
حسبُ أقداريَ ما تَجني عليّا
وكفَى عُمْريَ حُزْناً ولهيبا

فيم أبقى الآن حَيْرَى في مكاني ؟
آه لو أرجِعُ ، لو أنسَى شقائي
أدفِنُ الأحزانَ في صَدْرِ الأغاني
وأناجي بالأسَى صمْتَ المَساءِ

ليتنا لا نلتقي ، ليتَ شَقَائي
ظلّ ناراً ، ظلّ شوقاً وسُهادْ
يا دُموعي ، أيُّ معنىً للّقاءِ
إن ذوَى الحبُّ وأبلاهُ البعادْ

أيّها الأقدارُ ، ما تبغينَ منّا ؟
فيمَ قد جئتِ بنا هذا المكانا ؟
آهِ لو لم نكُ يا أقدارُ جئنا
ها هُنا ، لو لم تَقُدْنا قَدَمانا

ما الذي أبقيتِ في قلبي الجريحِ
ليس إلا الألمَ المرَّ الشديدا
لم يَعُدْ في جسميَ الذاوي وروحي
موضعٌ يحتملُ الجُرْحَ الجديدا

أكذا تنطفىءُ الذكرى ؟ ويَفْنى
حبُّنا ؟ والأمَلُ الشعريُّ يخبو
أكذا تذبلُ آماليَ حُزْنا
وهي أشعارٌ وأنغامٌ وحبٌّ ؟

خَدَّرَ الحزنُ حياتي وطواها
لم تَعُدْ تَعنيني الآنَ الحياةُ
أبداً ينطقُ باليأسِ دُجَاها
وتُغنّي في فَضَاها العاصفاتُ

لم يَعُدْ من حُلُمي غيرُ ظلالِ
من أسىً مرَّ على وجهي المريرِ
آهِ لا كانَ بُكائي وخَيَالي
أيّها الليلُ ، ولا كانَ شعوري

والتقينا ، لا فؤادٌ يتغنّى
لا ابتسامٌ رسمتْهُ الشفتانِ
لم يَعُدْ إحساسُنا شعراً وفنّا
ليتنا ضعْنا وماتَ الخافقانِ

لم يعـــدْ في نفسيَ الوَلْهى مكانُ
لأسىً أو فرحـــةٍ أو ذكـــرياتِ
أيّ معنىً للمُنى ؟ فـاتَ الأوانُ
وذَوَتْ عينـــايَ ، تحتَ العَبَراتِ

والتقينـــا في الدُجَى ، كالغُرَباءِ
تحت جُنْح الصمتِ يطوينـا الوجومُ
كلُّ شيءٍ ضاحـكٌ تحـتَ السماءِ
وأنا وحـديَ تُـذويـــني الهمـــومُ

هكـذا يا ليـلُ صوّرتُ شقائي
في نشيـــدٍ من كآباتي وحـزني
قصّــةٌ قــد وقعَــتْ ذاتَ مساءِ
وحَــوَتْ روحي وأحزاني ولحـني

٢ ـ ٥ ـ ١٩٤٦

جَزيرةُ الوَحي

خُذْني الى العالمِ البعيدِ
يا زورقَ السِحْرِ والخُلودِ

ومِرْ بقلبي الى ضِفافٍ
توحي الى القلبِ بالقصيدِ

جزيرةُ الوَحْي ، من بعيدٍ ،
تلوحُ كالمأملِ البعيدِ

ألرملُ في شطِّها نَدِيٌّ
يرشَفُ من دجلةَ البَرُودِ

والقَمَرُ الحُلْوُ ، في سَمَاها،
أمنيّةُ الشاعرِ الوحيدِ

فلْتَسْرِ يا زورقي بروحي
قد آنَ أن يستفيقَ عودي

وآنَ للشِعْر أن يُغنّي
بالحُلُمِ الضاحكِ الشَرُودِ

حُلْمي ، وقد صُغْتُهُ نشيداً
يهشُّ ، من سِحْرِهِ ، وجودي

شاعرتي ، حدّقي ، فهذي
جزيرةُ الشِعْر والنشيدِ

لاحتْ ، على البعْد ، ضَفّتاها
أمنيّةَ العالَمِ الجديدِ

إن لـَهـَتِ المقلتانِ عنها
صاحتْ بها الأمنياتُ : عودي

فَلـْتبسِمي ، يا ابنةَ الأغاني
للشاطىءِ الساحرِ المديدِ

ولـْتـُوقفي الزورقَ المُغَنّى
تحت شُعَاعِ السَنَا البديدِ

ألعودُ والشِعْرُ والأماني ،
شاعرتي ، فاصْدَحي وزيدي

قد ضَحِكَ العُمْرُ واستنامتْ
عواصفُ اليأسِ والنكودِ

وانقلبَ اليأسُ بُشْرَياتٍ
وأمنياتٍ ، فأيُّ عيد !

٥ـ٩ـ١٩٤٤

عَلى وَقعِ المطـَـر

أمطري ، لا ترحمي طيفيَ في عُمقِ الظلامْ
أمطري صُبّي عليّ السيلَ ، يا روحَ الغمَامْ
لا تُبَالي ان تُعيديني على الأرضِ حُطَامْ
وأحيليني ، إذا شئتِ ، جليداً او رُخَامْ

أتُركي ريحَ المساءِ المُمطرِ الداجي تُجَنُّ
ودعي الأطيارَ ، تحت المطر القاسي ، تئنُّ
أغرقي الأشجارَ بالماءِ ولا يُحزنكِ غُصْنُ
زَمجري، دَوّي ، فلن أشكوَ ، لن يأتيكِ لحنُ

أمْطِري فوقي ، كما شئتِ ، على وجهي الحـــزين
لا تُبالي جَسَدي الراعشَ ، في كفِّ الدُجونِ
أمطـــري ، سيلي على وجهيَ ، أو غَشّي عيوني
بلّلي مـــا شئتِ كفّيَّ وشَعْري وجبيني

أغْرقي ، في ظُلْمة الليلِ ، القبورَ الباليـه
والطمي ، ما شئتِ أبوابَ القُصورِ العاليـه
أمْطري ، في الجَبَل النائي ، وفوقَ الهـــاويه
أطْفئي النيرانَ ، لا تُبقي لحيٍّ باقيـــه

آهِ ما أرهَبَكِ الآنَ ، وقـد ساد السكونْ
غيرَ صوتِ الرّيحِ في الأعماقِ، تدوي في جُنون
لم تَزَلْ تَهْمي، من الأمطارِ في الأرضِ ، عيونْ
لم يَزَلْ قلبي حزيناً ، تحت أمواجِ الدُجون

أيُّها الأمطارُ ، قد ناداكِ قلبي البَشَريْ
ذلكَ المُغرَقُ في الأشواقِ ، ذاك الشاعريْ
إغسِليه ، أم ترى الحُزْنُ حِمَاهُ الأبديْ
إنَّه ، مثلَكِ يا أمطـــارُ ، دفّاقٌ نقيْ

ابداً يسمعُ ، تحت الليلِ ، وقْعَ القَطَرات
ساهمــاً يحلمُ بالماضي وألغــازِ المماتِ
يسألُ الأمطارَ : ما أنتِ ؟ وما سرُّ الحياةِ ؟
وأنا ، فيمَ وجودي ؟ فيمَ دمعي وشَكَاتي ؟

أيها الأمطارُ ما ماضيكِ ؟ من أين نبعتِ ؟
أابنةُ البحرِ أم السُحْبِ أم الأجواءِ أنتِ ؟
أم تُرَى من أدمُعِ المَوْتَى الحَزَانى قد عُصِرْتِ ؟
أم دموعي أنتِ يا أمطارُ في شَدْوي وصَمْتي ؟

ما أنا ؟ ما أنتِ يا أمطارُ ؟ ما ذاكَ الخضَمْ ؟
أهُوَ الواقعُ مـا أسمَعُ ؟ أمْ صوتُـكِ حُلـْمُ ؟
أيُّ شيءٍ حولنـا ؟ ليــلٌ وإعصارٌ وغيمُ
ورعــودٌ وبروقٌ وفضــاءٌ مُدْلَهِمْ

أسفاً لستُ سوى حُلْمٍ على الأرضِ قصيرِ
تَدْفِـنُ الأحزانُ أيّامي ويلهو بي شُعوري
لستُ الا ذرّةٌ في لُجّةِ الدهرِ المُغيـرِ
وغــداً يجرفُني التيّارُ ، والصمتُ مصيري

وغــداً تدفعُني الأرضُ سَحَابــاً للفضاءِ
ويُذيبُ المَطَرُ الدفّاقُ دمعي ودمائي
ما أنا الا بقايا مطرٍ ، ملءَ السماءِ
تَرجِـعُ الريحُ إلى الأرضِ به ، ذاتَ مساءِ

أمطري ، دوّي ، اغلي ضجّةَ أحزاني ويأسي
أغرقيني ، فلقـــد أغرقتُ في الآلام نفسي
إملأي كأسيَ أمطاراً فقد أفرغتُ كأسي
واحجبي عني دُجَى أمسي فقد أبغضتُ أمسي

٩ ــ ١٢ ــ ١٩٤٦

شجرة الذكرى

مررتُ بهـــا في المساءِ الدَّجِيِّ
فألقيتُ رَحْــليَ في ظلّهـــا
وحدّقتُ في خُضْرِ أوراقِها ،
وروحي الكئيبةُ في ليلهـــا
فهـاجتْ لقلبي دُجَى الذكريات
وأترعتُ لحــنيَ من ويلهـــا
وصيّرتُ مُتَّكَأي ساقَهـــا
وطافتْ شجونيَ من حولها

تذكرتُ ، والقلبُ في حُزْنِهِ
وقوفيَ ، في ظلّهـــا الساحرِ
كأنْ لم تمرّ الليـــالي الطِوال
على أمسي المُبعِـــدِ الدابرِ
وقفتُ أكفكفُ دمعي السخين
وأصرُخُ مـــن ألمي الآمرِ
أقُصُّ على ظلّهـــا قِصّتي
وقصّـــةَ شاعريَ الغـــادرِ

قصصتُ عليها الحديثَ الكئيب
وفي يـــديَ الشوكةُ القاطعه
أمُرُّ بهـــا ، والأسَى غـــالبي ،
على ساقهـــا البرّةِ الوادعـــه
فيـــا لـيَدي جرَحتْ ساقَهـــا
وجـذّتْ أزاهيرَها اللامعـــه
كأني بذاك جرحتُ الحياة
وعـــاقبتُ أقدارَها الخادعـــه

ومرّتْ علـيَّ السنينُ الطوالْ
وطالَعَني يومِيَ الخالدُ
فأبصرتُ فيه أسايَ البعيد
يُحِسُّ به قلبيَ الواجدُ
فقلتُ لقلبيَ : هيا نُطِفْ
بها ، ولْنَبْثُرْ حزنَكَ الهامدُ
سنسألُها اليومَ عن جُرْحِها
ألم يَشفِهِ الزَمَنُ الآبد

وعُدْتُ إليها ، كأنْ لم تمرَّ
عليَّ السنينُ وأقدارُها
فؤاديَ ما زال مستأسَراً
وروحيَ ما أُطفِئتْ نارُها
يُفَيّئُني ظلُّها من جديد
وتحنو على القلب أزهارُها
فيا نُبْلَها ، صَفَحَتْ عن يدي
وما زال عند يدي ثارُها

ودُرْتُ أسائلُ عن جُرْحِهـــا
أمــا دملتْــهُ أكفُّ القَــدَرْ ؟

فلم أرَ إلا اخضرارَ الحياة
فليس عليهــا لجُرْحٍ أثَــرْ

وأما جِراحُ فؤادي الحزينْ
فما زلنَ يشكونَ طولَ الصَّدَرْ

فيا عَجَبــاً للزمانِ المسيء
متى عن إساءتــه يعتذرْ ؟

١٤ ـ ٦ ـ ١٩٤٤

الخيَــال وَالوَاقع

رحمةً ، لا تُنْزليني من سَمَائي
واتركيــني في خيــالِ الشُعَــراء

أتركيني ، لا تُعيدي لي الظُنونا
ودعيني أمــلأِ الدنيــا لُـحونا
وأصُغْ عُمْــري جَمَــالاً وفُتونا
أبــداً أصْــدَحُ حبّــاً وحَنينــا
لحبيبي وأنا تحــتَ سَمَــائي
وخيالي ، من خَيَــالِ الشُعَراءِ

اتركيني ، أنا قد نُحْتُ طويلا
ودعيني أبصرِ الكونَ جميلا
شَبِعَ القلبُ دموعاً وذُهولا
فدعيه يقطعِ العُمْرَ جَهولا
ويَعِشْ ، مثليَ في ظلٍّ السماء
ويُشاركْني خيالَ الشُعَراءِ

رحمةٌ بي ، رحمةٌ ، لا تُحزِنيني
ودعيني في خيالاتي ، دعيني .
قصّةُ الإثمِ وأنباءُ المُجونِ
لا تَقُصّيها على قلبي الحزينِ
ودعيهِ ، في تعاليلِ السَمَاءِ
ممعناً في نَشَواتِ الشُعَراءِ

إنْ يكن قلـــبيَ ظمآنَ وفيّا
لا يَرَى في شاعري إلا نبيّـــا
أو يكنْ يكتُمُ حبًّا شاعـريًا
فهو ما زال بأوهـــاميَ يحْيَى
أبـداً يرسُمُ أحـــلامَ السَمَاءِ
ويغنّي أغنيـــاتِ الشُعَراءِ

قد سئمتُ الواقـــعَ المرَّ الملا
ولقد عُدْتُ خَيـــالاً مضمحلا
فـاتركيني بخيـــالي أتـَسَلّى ،
آهِ كاد اليـأسُ يعروني ، لولا
أنـّني لُذتُ بأحـــلام السماءِ
وتخيـّرتُ خيـــالَ الشُعَــراءِ

صوّري ما شئتِ لي الأمسَ وسِحْرَهْ
يومَ كان الحبُّ في كفّي زهـــره
إرسُمي للقلب أحــلامَ المَسَرّه
ودعيني أذُقِ الأفـــراحَ مرّه
علّني أهبِطُ من بُرْج السَمَاءِ
ويُجَافيني اكتــآبُ الشُعَراءِ

لا تـُثـيري ألمي ، حسبُكِ أنـّي
لم أزَلْ في معبَـــدِ الحبّ أغنّي
لم يَزَلْ حُلْمي رؤيا مُتَمَنّ
كلّ يومٍ يَهْدِمُ اليـــأسُ وأبْني
ولقــد شيّدتُ لي بُرْجَ السَمَاءِ
وخيــالاتي ووهْمَ الشعــراءِ

لم يكن حبّي سوى حُلْمٍ غريبِ
مدّهُ الوهْمُ على قلبي الكئيبِ
أسفاً ، لم يَبْقَ لي غيرُ شُحوبي
وأغاريديَ آلتْ للغُروبِ
لم يَعُدْ لي غيرُ أحلام السَمَاءِ
وخيالاتي ووهْمِ الشُعَراءِ

۳۱-۸-۱۹٤٥

السفينة التائهة

في لُجّةِ البحرِ الرهيبِ سفينةٌ تحت المسَاءْ
ألقتْ بها الأقدارُ في لُجَجِ المنايا والشَقَاءْ
الريحُ تصرُخُ حولَها وتضِجُّ في ظُلَمِ الفضاءْ
والموجُ يضربُها ويُلْقيها على شَفَـــةِ الفَنَاءْ

سارتْ ولا ربّانَ يَهْديها إلى الشطِّ السحيقْ
حَيْرَى يُخَادعها الظلامُ فلا شُعَاعَ ولا بريقْ
من فوقها هولُ الرعود وتحتهـــا اللُجُّ العميقْ
سارتْ وما تدري الى أينَ المَصيرُ وما الطريقْ

الريحُ مزّقتِ الشِراعَ فأينَ يضرِبُ زورقي ؟
والموجُ أطفأ ضوءَ مِصْباحي فماذا قد بقي ؟
وغداً سينسكبُ الدُجَى في جَفْنيَ المُغرورقِ
وتسيرُ أمواجُ البحور على شبابي المُغرَقِ

لا شيءَ يمسحُ أدمعي ، لا حُلْمَ تَلمحُهُ عيوني
لا شاطىءٌ ترنو اليه سفينتي ، تحتَ الدُجونِ
كتبتْ ليَ الأقدارُ أن أمشي على شوكِ السِنينِ
جسْماً تعذّبُهُ كآبةُ خافقٍ جَمّ الحنينِ

رحماكِ يا أيدي الكآبةِ ما الذي قد كانَ منّي ؟
ماذا جَنَيْتُ لِتَعْصُري قلبي وأحلامي ولَحْني ؟
أبداً تَمُدّين الجَنَاحَ على خيالاتي وفنّي
وتلوّنينَ مَشَاعري بسَوَاد آهاتي وحُزني

ويروحُ يصرُخُ تحتَ عبئـكِ قلـبيَ المتمرِّدُ
قلبي الذي ضـاقَ الوجودُ به وعذّبَهُ الغـَدُ
قلـبي الكئيبُ المُستَطـَارُ الشاعرُ المتنهِّـدُ
يَحنَى على ظمأ الحيـاةِ فأينَ أينَ الموردُ ؟

كم شاعرٍ عَبَدَ الحيـاةَ وعاش يشدو بالجَمَالْ
أبـداً يغرِّدُ للطبيعةِ والكآبةِ والخيـالْ
حتى اذا طَلَعَ الصباحُ على الصَحَاري والتلالْ
عَثَرَ الضياءُ على فتىً مُسْجَىً على كُثُبِ الرمالْ

نمّتْ عليه كآبةٌ ، لم يَمْحُها الموتُ الرهيبْ
ووشت به عينانِ رانَ عليهما اليأس المُذيبْ
والى يمين رُفَاتِهِ قيثـارُهُ الساجي الكئيبْ
حَفِظَ الوفاء لمن تَخبَتْ ألحانُهُ وذَوَى اللهيبْ

يا ليلُ ، ما نَفْعُ الأمَى ؟ يا بحرُ ، ما معنى الدموعْ ؟
ألنَوْءُ يصخَبُ داويـــاً ، والموجُ يهزأ بالـقُلوعْ
أنـّى تسيرُ سفينتي الحَيْرَى إذن ؟ أنـّى الرُجوعْ ؟
فلنمضِ للمجهولِ ، ذلك وحدَهُ ما نستطيعْ

١٩٤٦—٧—٧

قلبٌ ميّت

نعم ، ماتَ قلبي ، أينَ أحـــزانُ حبّه ؟
وأين أمـــانيهِ ؟ وأينَ أغانيهِ ؟
حرارتُهُ أضحتْ رَمَاداً مهشّمـــاً
وأحلامُهُ ذابتْ على صدر مـاضيهِ
هو الآن ثلجيُّ العواطف ، باردٌ
يُقضّي مع الأشباحِ غُبْرَ لياليـهِ
ويَرْعَبُهُ ذكرُ المماتِ وليلِـــهِ
فيدفِنُ نيرانَ الأسى في قوافيهِ

وكانَ له من قبلُ هيكلُ مَعْبَدٍ
يُغَنّيهِ في أحلامه وصَلاتِهِ
من الحُبّ والأحلامِ صاغَ رُواءَهُ
وألقى عليهِ أمنياتِ حياته
على صَدْره الشِعْريّ تمثالُ شاعرٍ
تذوبُ معاني الروح في نظراته
يَرَى فيه إحسامي حياةً نقيةً
أطلّتْ خفاياها على ظُلُماته

وكان صباحٌ ... واستفقتُ فلم أجدْ
من المعبدِ الشعريّ الا رسومَهُ
تَحَطّمَ تمثالي الجميلُ على الثرى
وألقى على قلبي النقيّ همومَهُ
ورُحْتُ الى حبّي أمزّقُ زهرَهُ
وأنثرُ أحلامَ الصِبا ونجومَهُ
ويَنْضَبُ في قلبي جمالُ شبابه
وينفُثُ ليلُ الحزنِ فيه سُمُومَهُ

وها أنا ذي عُمْري احتقارٌ وأدمعٌ
وفي نفسيَ الولهى لَظَىً وتمرُّدُ
أحنُّ الى حبّي الجميلِ وإن يكنْ
أشاحَ عن التمثالِ جَفْني المسهَّدُ
وماذا تبقّى الآنَ ؟ شِلْوُ حجارةٍ
تضيقُ بها نفسي ، وصَخْرٌ ممدَّدُ
تَعَلَّقَ قلبي بالنجومِ وقلبُهُ
تمرَّغَ في الأوحالِ ، والطينُ يشهَدُ

هنالكَ ، في الأمس البعيدِ ، وليله
سأدفنُ تِمثالي وحُبّي وأدمعي
أشيّدُ قبراً من تمرُّدِ خافقي
وأسقيهِ من بُغْضي له وتَرَفّعي
أغنّيهِ ألحانَ احتقاري وثورتي
وتهزأُ أضواءُ النجومِ به معي
وأزرعُ فيه الشوكَ والسُمَّ واللظَى
وأتركُهُ شِلْواً كقلبي المروَّعِ

٢٨ ـ ٧ ـ ١٩٤٦

بَعْدَ عَام ..

مرّ عامٌ يا شاعري
منذ أبصرتُكَ في ذلكَ الصباحِ الكئيبِ
مرّ عامٌ لم تكتحلْ عينيَ الظَمْأى برؤياكَ ،
لم يخفّ قُطُوبي
أللياليِ تمرُّ تتبعُها الأيّامُ ،
في بُطْئها المُمِلّ الرتيبِ
وأنا لهفةٌ ، وشوقيَ يزدادُ
وروحي في عاصفٍ من لهيبِ
ظمأً للحياةِ يملأ إحساسي
ونارٌ في دمعيَ المسكوبِ
وشظايا كآبةٍ رسمتْ فوقَ جبيني
غلالةً من شُحُوبِ

مرّ عامٌ ، من قالَ ؟
هل أنا في حُلُمٍ بناه تخيلي المصدومُ ؟
اهو وَهمٌ ما خلتُهُ سَنَةً
أطفأ أضواءَها الزمانُ اللئيمُ ؟
مرّ عامٌ ولم أقابلْكَ ؟ ماذا ؟
كيف أبقتْ على حياتي الهمومُ ؟
كيف طابتْ ليَ الحياةُ على بُعدكَ عني ؟
ولم يُمتْني الوجومُ ؟
ألشهيقُ الحزينُ في هدأةِ الليلِ ،
ألم يلْقِهِ اليكَ النسيمُ ؟
والشرودُ الذي أماتَ أحاسيسي ،
اما حدثتْكَ عنه النجومُ ؟

لم أزلْ أذكرُ الصباحَ الذي مرْ
ندىً فوق قلبي المكسورِ
منذُ عامٍ ، في الشارعِ الصاخبِ الممتدّ ،
والشمسُ في صفاء الأثيرِ
جمعتْنا هنالك الصُدْفةُ الحُلْوةُ
في غفلةٍ من المقدورِ
والتقينا ، لم نبتسِمْ ، لم أحدّثْكَ
بما في فؤادي المعصورِ
لحظةً ، ثم أجهز الزَمَنُ القاسي
على قلب حُلْمي المَسْحورِ
مرتَ يُمْنى ، ومرتُ يُسْرى
ولم يبْقَ سوى ثورتي ونارِ شُعوري

ومضى العامُ كلـُّهُ
كلّ يومٍ أتلقـّى الصباحَ بالأحلامِ
كلّ يومٍ أقولُ : يا قلبيَ الظمآنَ للصحوِ ،
لا تـَضِقْ بالغـَمَامِ
ربّما أشفقت بنا الصُدَفُ العمياءُ
هذا الصباحَ ، بَعْدَ الظلامِ
لن يُضِرّ الأقدارَ في ليلها
أن تتلقـّاكَ مرّةً بابتسامِ
فتدِبُّ الحياةُ ثانيةً فيك
وتصحو خوامدُ الأنغامِ
ويُجَنُّ الشـُعورُ في عـُمْقِ أعماقكَ
حيّاً ، حرّاً من الآلامِ

مرّ عامٌ ، ودقّتِ الساعةُ الحمقاءُ عَشْراً
واستيقظت أحزاني
ألثلاثاءُ لم يُعِدْكَ
الى أشواقِ روحي الممزّقِ اللهفانِ
مرّ عامٌ ، كأنه حُلُمٌ مرّ
على جَفْنِ شاعرٍ وَسْنانِ
مرّ عامٌ ، لم يبقَ منه سوى لحنٍ
حزينٍ مُغْرورقِ الألحانِ
ليس الا ابتسامتي المُرّةُ الظمأى
ودقّاتُ قلبيَ الحيرانِ
ليس الا ظلٌ من الصمتِ واللهفةِ
يبدو في جَفْنيَ الظمآنِ

٢٦ ـ ٦ ـ ١٩٤٥

العَوْدَة إلى المعبد

معبدي ، عـــادت بيَ الأحزانُ فارأفْ بعذابي
عدتُ يا ليتكَ تَدْري بعضَ آلامي ومـــا بي
عدتُ والقلبُ شريدٌ تائهٌ بـــين الضَبَابِ
يتـــلوّى في إسارٍ من حنيني واكتـــآبي

ذهبَ الأمسُ بـــأوهامِ فؤادي ومحـــاها
فـــإذا قلبيَ عبدٌ ولقد كان إلهـــا
آهِ فارأفْ بفتاةٍ حطّمَ الدَهْرُ مُناهـــا
وأفـــاقتْ لِيَهُدّ الحزْنُ واليـــأسُ قُواها

مَعْبدي ، إفتَحْ لقلبي البابَ ، قد طالَ وقوفي
أنا من ماتَ ربيعي في أعاصيرِ الخريفِ
جئتُ ألقي بين كفَّيْكَ أسى قلبي اللهيفِ
علّني أحظَى بِظِلٍّ في مجاليكَ وريفِ

عُدْتُ ، يا معبدُ ، للصَمْتِ ، فلن أشدوْ بحبّي
لم يَعُدْ قلبيَ يهفو فلقد ودّعتُ قلبي
حسبيَ الآنَ وجومي وكآباتيَ حَسْبي
حسْبُ روحي نارُ إحساسي وآهاتي وُرعْبي

أسَفاً ، كيف ذوَى حُبّي ولحني ورجائي ؟
ليتني كنتُ تناسيتُ ، فلم أرْعَ وَفائي
ليتَ حبّي لم يُعلّمني أغاريدَ السماءِ
ليتَهُ خلّفَني في الأرضِ بينَ الأشقياءِ

رحمةً ، مـــاذا تراني أفعـــلُ الآنَ بفنّـي ؟
هي ذي آلهـــةُ الشِعْر فهل تمسَحُ حـُـزْني ؟
هو ذا العودُ فهــل يُسْعدُ روحي أن أغنّي ؟
رحمةً بي ، ما الذي قــد أبقتِ الأحزانُ منـّي ؟

أين أمسي ، وهو أحلامٌ وألحـــانٌ ولَـهْوُ ؟
أينَ أيّاميَ إذ قلـبي مـــن الأشواقِ خِلـْوُ ؟
ما الذي أبقَـى ليَ الحبُّ ؟ أجِسْمي ، وهو نِضْوُ ؟
وفؤادي ، وهو أوصالٌ ؟ وروحي ، وهو شِلـْوُ ؟

إدفِنِ الأحـــلامَ ، يا قلبي الخيـــاليَّ المُحَطـّمْ
واستفِقْ من قبلِ أن ينطفىءَ الحُلـْمُ فتندمْ
مـــا الذي أغراكَ بالحبِّ ؟ ومن أوحى وألهمْ ؟
عَجَبَـــاً ، كيف ترى الشرَّ بعينيك وتحـــلم ؟

إستفِقْ من حُلْمِكَ الشِعْريّ واِيأسْ يا كئيبُ
ذبلتْ أغنيــةُ الحبّ ووراءهــا المغيبُ
وستبقَى ، أيّهــا المحزونُ ، في الشوقِ تذوبُ
أبداً ترجو رجوعــاً لهوىً ليس يؤوبُ

ثم مــاذا ؟ أيّ حُلْمٍ ترتجي يا ابنَ السماءِ
أنتَ في الأرضِ ، فــلا تحلُمْ بلُقْيا الأوفياءِ
لا تَلُمْ شاعرَكَ الغــادرَ وابسم للشقــاءِ
والتجىءْ للعودِ تَسْعَــدْ يا حزينَ الشُعَراءِ

معبدي ، إفتح لقلبي البابَ ، لا تَقْسُ عليه
ليجدْ عنــدَكَ سَلْواهُ لينسى أملَيــهِ
يا لَمحزونٍ شقــيٍّ مزّقَ الشوكُ يَدَيْــهِ
ملءُ دنياهُ عُبوسٌ ، فابتسِمْ أنتَ إليــه

٩-٨-١٩٤٤

عيد الانسانيّة

« ٨/٥/١٩٤٥ يوم الهدنة »

في دمي لحنٌ من الشوقِ جديدُ
والمجالي حوَاليَّ نشيدُ
ليلتي هذي ابتسامٌ وسُعودُ
طافَ بالأفقِ فغنّاهُ الوجودُ
هي يا قيثارتي لحنٌ سعيدُ
هي شِعرٌ ، هي وَحيٌ ، هي عودُ
هذهِ الليلةُ للعالَمِ عيدُ
وهيَ ، يا قيثارتي ، الحُلُمُ الوحيدُ

أين أوتارُكَ يا عودي الحبيبا
شُدَّها واصدَحْ ولا تَبْقَ كئيبا
لم تَعُدْ دُنياكَ جَمْراً ولهيبا
أنتَ يا مَنْ عِشْتَ في الكون غريبا
نَغَمُ السِلْمِ سَرَى فاحْيَ طَرُوبا
واملأِ الدنيا لحُوناً وطيُوبا
وانسَ أمساً ملأ الكونَ خُطوبا
آنَ للأفراحِ أن تمحوْ الكُروبا

فرحةُ الهُدْنة ، يا بُشْرَى لفنّي
أأنا أحلُمُ ؟ أم تكذبُ أذْني ؟
أم هيَ الفرحةُ قد لاحتْ لعيني ؟
حُلُمَ الصادي ورؤيا المتمَنّي
يا إلهَ الشِعرِ نَحّ الصَمْتَ عنّي
آنَ أن أنسى ضراعاتي وحُزْني
آنَ أن أحيَ الأمانيْ وأغنّي
ومعي قلبي وأشعاري ولحني

أنا من غنّتْ دموعَ الأشقيــاءِ
وبكــتْ أشعارُهــا للأبرياءِ
كم صريعٍ قبرُهُ ثلــجُ الشتــاءِ
ويتيمٍ مهــدُهُ شوكُ العَــرَاءِ
وصبايا كرَعَتْ سُمَّ القَضــاءِ
قبلَ أن ترشُفَ كأساً من هناءِ
صُغْتُ أحزانَهُمُ لحــنَ شَقــاءِ
هو أحزاني وحُبّي ووفائي

ولقــد مرّت بأحلامي السنينــا
وهي مــا زالــتْ سَراباً وظنونا
واذا الرحْمــةُ تُنْجي الحالمينــا
بالسلامِ الحُلْوِ ، حُلْمِ المنشدينا
وصَدَى الوحي ولحنِ الشاعرينــا
لم يَعُدْ قلبُ المقــاديرِ ضنينــا
فابسمي ، شاعرتي ، في الباسمينا
واملأي المعبــدَ زَهْــواً وفتــونا

آهِ يا شاعرتي ، غنّي الأماني
واسمعي ، هذا هُتافُ المِهْرجانِ
فالنواقيسُ ، على البُعْدِ ، أغانِ
بَشّرتْ بالفجر أحزانَ الزمانِ
وصَدَى السِلْمِ على كلِّ لسانِ
فاتنَ النغمةُ عُلْويَّ المعاني
انها الفرحةُ ، يدري المَشْرقانِ
أقبلتْ تأسو جراحَ الحَدَثانِ

٨/٥/١٩٤٥

ليلة ممطرة

ألآن يا نجمي تغيبُ ولم يَحِنْ وقتُ الأفولْ ؟
ألآنَ والليلُ الجميلُ يُرِيقُ ضوءك في الحقولْ ؟
والزَّهرُ ، تحت الليلِ ، نشوانٌ بمَشْرِقكَ الجميلْ ؟
والنهرُ ، والشطآنُ تضحكُ تحت أشجارِ النخيلْ

ألآنَ تغرُبُ ؟ يا لَمأساةِ الجمالِ الذابلِ
يا نجميَ المأسورَ في كفٍّ الضَبابِ الشاملِ
يا فيلسوفَ الليلِ ، يا سرَّ الوجودِ الذاهلِ
عَبَثاً أناشيدي إلى أضواءِ نجمٍ آفلِ

عبثاً سَهِرتُ الليلَ أرنو والتفجّعُ غالبي
أتزوّدُ النَظَرَ الأخيرَ إلى ضياكَ الشاحبِ
وأصوغُ ألحانَ الرثاءِ على صِباكَ الذاهبِ
وأحوكُ من دمعي الضياءَ لكلّ نجمٍ غاربِ

رحماكَ يا نجمي الجميلَ متى نهايةُ ليلتي ؟
ومتى ستنقشعُ الغيومُ وتستريحُ كآبتي ؟
قد شاقَ قلبي أنْ أحِسّ الصمتَ تحتَ خميلتي
وتجوبُ عينايَ الفضاءَ وفي يدي قيثارتي

ما زلتُ أنتظرُ السكونَ وليس غيرُ صَدَى المَطَرْ
والريحُ في سَمْعِ المساءِ تئنُّ ما بين الشَجَرْ
لا طيرَ يمرَحُ في الحُقولِ ولا أريجَ ولا زَهَرْ
لا شيءَ غيرُ صُراخِ رعدٍ هاتفٍ بأسَى البَشَرْ

ومن الظلامِ تصاعدَتْ آهاتُ قُمْريٍّ الغصونْ
ذهبتْ بمكنه الرِّياحُ وعزَّهُ المأوى الحَنُونْ
حيرانُ ، مرتعشُ الجَناحِ ، مجرَّحٌ تحتَ الدُّجونْ
رحماكَ يا ربَّ العواصفِ ، حسبُنا المَطَرُ الهَتُونْ

أينَ الفضاءُ الحلوُ ؟ أين الصَحْوُ؟أينَ سَنَا النجومْ؟
من جمَّعَ المَطرَ الكئيبَ ، وبثَّ في الليل الغيومْ ؟
يا ريحُ رفْقاً بي ورفقاً بالعرائشِ والكرومْ
رفقاً بقُمْريٍّ المروج فقد أمضّتْهُ الهمومْ

قد كان في قلبي أمانٍ يا رياحُ فخنتِها
قد كان في هذا المساءِ مَفاتنٌ فمحوتِها
قد كان في المَرْجِ الجميلِ عرائشٌ أذْبلتِها
قد كان في ثَبَجِ السَماءِ كواكبٌ أطفأتِها

وبَقِيتُ ،في الليلِ الكئيبِ، أُصيخُ للمطر الكئيبْ
وعلى فمي اللحنُ الغريبُ ، يصوغُهُ قلبي الغريبْ
وتلوحُ لي خَلَلَ النوافذِ ظلمةُ الليلِ الرهيبْ
عبثاً أُغذّي موقدي فالآنَ ينطفىءُ اللهيبْ

قد حطّمَ الإعصارُ نافذتيّ وانطفأَ الضياءْ
والآنَ لا أضواءَ حولي غيرَ إبراقِ السماءْ
يا ضجّةَ الإعصارِ في الآفاقِ ، يا مَطَرَ المساءْ
ألآنَ ألتمسُ الرُقادَ إلى غدٍ فإلى اللقاءْ

٦ ـ ١١ ـ ١٩٤٦ .

انشودة الأبدية

« الى القيثارة الالهية التي منحت الانسانية أروع الألحان ، الى تشايكوفسكي ، ذكرى لمرور اربع وخمسين سنة على وفاته . »

سأحبُّ الحياةَ من أجل ألحانك
يا بلبلي الحزينَ وأحْيَى
سأرى في النجومِ من نور أحلامِكَ
ظلاً مخلّداً أبديّا

سأناجي في الليل جُنْحاً من الأحزانِ
ألقَى ، يوماً ، عليكَ ، ظِلالَهْ
سأحيّي في الكرْم فَيْضاً من الأسرار
أضفى ، يوماً ، عليكَ ، جمالَهْ

وإذا ثارتِ العواصفُ في الليلِ
وراءَ الحقلِ الرهيبِ الدّجيّ
لمستْ روحيَ المَشوقةُ فيها
ذكرياتٍ من روحكَ الناريّ

آهِ يا أيّها المَلاكُ ،
إلى روحكَ ، في الموتِ ، حنّ روحي الحزينُ
أنا تلك التي حياتي ، على الأرضِ ،
اكتآبٌ ووحشةٌ وحنينُ

آهِ لو كنتُ عشتُ ، مثلَكَ ، في الماضي
وأبصرتُ وجهَكَ العُلويّا
لو رأيتُ الإلهامَ يملأُ عينيكَ ضياءً
وقلبَكَ الشاعريّا

آهِ لو بعتُ كلَّ عُمْري
بيومٍ شاعريٍّ يراكَ فيه وجودي
من بعيدٍ أرنو الى الهيكل السامي
وأُصْغي اليكَ يا معبودي

وأرى كيف يُغْرِقُ الحزنُ مرآكَ
وتبدو أسرارُهُ في عيونِكْ
وأحِسُّ ارتعاشَ قلبك للحُسْنِ
وظِلَّ الشُرود فوقَ جبينِكْ

وأرى كيف تُرْجفُ الوترَ المسحورَ كفّاكَ

يا ملاكي النبيلا

كيف ترنو الى الحياةِ وما فيها

وتستلهِمُ الوجودَ الجميلا

وأرى كيف يغسِلُ الدمعُ عينيكَ

وتبكي في وَحْشهِ الإنفرادِ

وأرى كيف يرقُصُ الألمُ الطاهرُ

في مقلتيكَ ، قبل الرقادِ

كيف يأتي الدُجَى عليك فترنو

في ذُهولٍ الى ظِلالِ الماضي

بين فكّ الذِكْرى ، يُعذّبُكَ الشوقُ

وتَبْقَى في رَعْشةٍ وانتفاضِ

كيف ، تحتَ الدُجَى ، تهيمُ على وجهِـك
بحثاً عن لحظةٍ من هُـدوءِ
هارباً من صُراخ نفسِـكَ ، من دُنياكَ
من عالم الوَرَى الموبوءِ

هارباً ، هارباً ، تُحدّقُ في النَـهْرِ
وما فوقَ مائه من جليدِ
تتمنّى أن يَدْفِنَ الثلجُ بَلْـواكَ
بعيداً عن اضطرابِ الوجودِ

آهِ يا بلبلي ، وقد جاءكَ الموتُ أخيراً
وغبتَ عن دُنْـيانا
أخمدَ الصمتُ والفناءُ أغانيْـكَ
ولم يَبْقَ غيرُ رَجْعِ أسَانا

رَقَدَ الحالمُ الإلهيُّ ، تحتَ الفَجْرِ
جسماً مَيْتاً وروحاً أصَمّا
كلُّ أنغامِهِ السماويّةِ الظَمْأى
وأحلامِ روحِهِ عُدْنَ حُلْما

وعلا ذلكَ الجبينَ الأثيريّ
شُحوبُ الموتِ المريرِ القاسي
وهَوَى ذلك الإلهُ السماويُّ على الأرضِ ،
خامدَ الأنفاسِ

عبثاً قبّلتْهُ آلهةُ الفجرِ
وغنّتْهُ أعذبَ الأنغامِ
عبثاً ذكّرتْهُ ربّةُ موسيقاهُ
بالذكريات والأحلامِ

أيُّها الموتُ ، أيُّها الماردُ الشرّيرُ ،
يا لعنةَ الزمانِ العنيدِ
كيف تَرْضَى يداكَ أن تقتلَ الإلهامَ ؟
ماذا تركتَهُ للوجودِ ؟

سوفَ تفنَى ذكراكَ أنتَ ،
ويبقَى ظِلُّ ذاك الطيرِ الجميلِ الوديعِ
سوفَ تبقَى نجواهُ تخفِقُ ، فوق الأرضِ ،
بالحبِّ والجمالِ الرفيعِ

أيّها الحاقدُ الترابيُّ ، أما أنتَ ،
فاحقِدْ وعِشْ على الأضغانِ
إنه الآنَ فوقَ حِقْدِكَ ، فوق الأرضِ ،
فوقَ الفَنَاءِ والنسيانِ

٣ ـ ٦ ـ ١٩٤٧

على الجسر

يا نَهْرُ لا تحفظْ دموعي أو أسَى قلبي المَروُعِ
أكتمْ — حنانَكَ — ما تساقطَ في مياهكَ من دموعي

ذهبَ المساءُ بكلّ ما أبصرتَ من حزْني العميقْ
ومحا الدُجَى من عُمْرِ يأسي ليلةً لــن تستفيقْ

إنْسَ الذي أبصرتَهُ بالأمسِ مــن أحزانيــه
واكتُمْ أسايَ وأدمعي تحتَ النُجومِ الحانيــه

إنسَ الخطَى المُتَعَثّراتِ وصوتيَ المتهدّجا
والدمعَ ، يخنُقُ كلّ ألفاظي بكفٍّ من شَجا

رحماكَ أنتَ الكاتمُ الحاني على المتأوّهينْ
وحنانُ موجِكَ كم طوَى قلباً يعذّبُهُ الحنينْ

أنتَ الذي شَهِدَتْ مياهُكَ أدمعي وتردّدي
أنتَ الذي سمعتْ ضفافُكَ آهتي وتنهّدي

ومَشَيْتُ فوقَ الجسر أبكي أمنياتي في سكونْ
وأديرُ وجهي ، نحو موجكَ ، عن عُيونِ العابرينْ

أحزانُ حبّي كلّها ، في شاطئيكَ ، نَفَضْتُها
أسرارُ روحي كلّها ، تحتَ الظلامِ ، نَثَرْتُها

لم أستطِعْ ، يا نهرُ ، كِتمانَ العواطفِ والشعورْ
مَنْ يمنعُ السيلَ القويَّ من التدفّقِ والمسيرْ ؟

وإذا طغى الحزنُ العميقُ فمن يَرُدُّ هديرَهُ ؟
واذا ذوى الأملُ الجميلُ فمن يُعيدُ عبيرَهُ ؟

عبثاً أقاومُ نارَ أحزاني فلن يخبوْ اللهيبْ
أبداً تُذكّرني الحياةُ بروعةِ الماضي الحبيبْ

حلُمٌ إلهيٌّ الجمالِ رسمتُهُ تحت النجومْ
وبنيتُهُ قصراً من الزهْرِ المنضّرِ في الغيومْ

وصَبَبْتُ فيه ، من حيَاتي ، صفوَهَا ونَقَاءَها
ونثرت فيه ، من زُهوري ، عِطْرَها ورُواءَهـا

وَهرَعَتُ ، كالطفلِ النقيّ ، إلى رجائي الأوحدِ
فرأيتُ قصري الحُلْوَ أطلالاً تَثـــيرُ تنهّدي

لا شيءَ يمحو ذِكرياتِ الأمسِ من قلبي الكئيبْ
لا نورَ ينفذُ في ظلامي ، لا انطفــاءٌ للّهيبْ

في عُمْقِ أعمــاقي أعاصيرٌ يُجَنُّ جُنونُهـــا
وعلى جفوني رَسْمُ أحــلامٍ يَضِجُ حنينُـــها

إيّانَ أنجو من ظلالِ الأمسِ ، أينَ ترى المَفَرْ ،
والليلُ يعكسُ ذكرياتي ، والأغاني والشَجَرْ ؟

يا نهْرُ فلْتَــدفِنْ شِكَاياتي و ُمرَّ شُجونهـــا
الآدميّةُ إن بكتْ فلِضَعْفهـــا وجنونهـــا

٢٥ — ٩ — ١٩٤٦

إلى الشاعر كيتس

الاشارات الى قصيدته :

« Ode to a Nightingale »

حيــاتي وآلامُ روحي الحزينْ
وأحلاميَ المُرّةُ الذاويــه
وموكبُ أيّاميَ الذاهبـاتِ
وأطيافُ أيّاميَ الآتيــه
تَجَمَّعْنَ في باقةٍ من عبير
ثَوَتْ خلفهــا روحيَ الفانيه
وأهديتُهــا نَغَمــاً حالمــا
الى روحكَ الحُرّةِ البــاقيه

حيـــاتيَ ، يا شاعري ، كلـّهـــا
حيـــاةُ فتـــاةٍ من الحـــالمينْ
إلهيّـــةُ الروح لكنّهـــا
على الأرضِ حَفْنَةُ ماءٍ وطينْ
تـُعـــذ ّبُهـــا صَرَخاتُ الأمَى
وُتزْعِشُهـــا صَـدَماتُ السنين
ولولاكَ ما وجـــدتْ في الثرَى
عزاءً ، ولم يَجتَذِبْهـــا الحنينْ

أناشيدُكَ الخـالداتُ العِـــذاب
نشيـــدي وأغنيتي الهـاتفـــه
فكم ليلةٍ من ليـــالي الشتاء
دفعتُ بهـــا ضَجّةَ العاصفـــه
وأسمعتُهـــا النارَ في مَوْقـدي
وغنّيتُهـــا الظـُلـّـةَ الوارفـه
وأيقظـتُ في ظلـّهـــا فِتْنتي
وثارَ عواطفيَ الجـارفـه

وكم في ليـــالي الخريفِ الكئيب
وقفتُ أحدّقُ عنـــد النَهَرْ
أصيخُ الى صوتِ قـُمْريـّـةٍ
سَجَتْ فوقَ بعضِ غـُصونِ الشّجَر
أُفتّشُ في صَوْتِهـــا عن شَجاكَ
وشكواكَ بـينَ الأسَى والفِكَرْ
وأسألُها عن شَبَـــابٍ ذَوَى
وظلٍّ صِباً راقـــدٍ في الحُفَرْ

أقولُ لها : صَوّري من جديــد
ظـــلامَ المساءِ الكئيبِ البعيدْ
وما كانَ من شاعري في دُجَــاه
وآهاتِـــهِ وأساهُ المُبيـــدْ
صِفي حُزْنَهُ عند رأسِ المريض
ووحشتَهُ والرَجاءَ البَديـــدْ
صفي ذلـــكَ الجَسَدَ الآدمـيّ
وما قالَ عنـدَ وَدَاعِ الوُجودْ

صِفِي شاعري كيف أمضى المساء
على قَـدَمَيْ ذلـكَ الميِّتِ
يُصيخُ إلى النَغَماتِ الحَنون
ويُطرقُ إطراقةَ المُنْصِتِ
صفيهِ ، كما أرعشتْهُ الحياة
أَسىً ، تحتَ سيف الرَدَى المُصْلَتِ
على كفّـهِ رأسُهُ الشاعريُّ
وحيداً ، إلى جانب الجُثّةِ

وكيف تولّى المساءُ الحزين
على شُعْلة الشَمْعةِ الشاحبه ؟
وهل صَرَخَتْ في الظلام الرياح
كما صَرَخَتْ نفسُهُ الصاخبه ؟
« هنالكَ حيثُ يموتُ الشَباب
وتَذْوي أشعتُهُ الغاربه »
هنالكَ حيثُ الذهولُ الغريب
يودِّعُ روحَ المُنى الذاهبه

وتَمْضي الليـالي إلى قَبْرِهـا
وتَمْشي الحيـاةُ مع الموكبِ
أسيرُ أنـا في شِعابِ الوجود
أفتّشُ عـن حُلُمي المُتْعَبِ
تُخَادعُني كلُّ قمْريّـةٍ
وتعبَثُ كلُّ الأغاريدِ بي
وما زالَ طيفُكَ طيَّ الخَفَاء
تُحَجّبُهُ ظُلْمةُ المَغْرِبِ

٦ — ٢ — ١٩٤٧

الفيضان

- ١ -

صوت التشاؤم

هي ذي ، يا ظلامُ ، عاشقةُ الليلِ ،
تُطيلُ التحديقَ تحتَ الدّيَاجي
وقفتْ ، عند شاطىءِ النّهرِ ، تُصغي
لأنينِ الرياحِ والأمواجِ
وتَرَى الليلَ غيهباً راعبَ الظلّ
على رائعٍ من الأثباجِ
وتحسُّ الحُزْنَ العميقَ لحقلٍ
أغرقتْهُ المياهُ خلفَ السياجِ

وقفتْ في الدجى تُحِسُّ الأسَى المرَّ
وتبكي في مَسْمعِ الظُلُماتِ
وتَرَى ، بالخيالِ ، ما حلَّ بالقريةِ والبائسينَ
من ويلاتِ
فجأتْهم ، تحتَ الدجى ، لُجّةُ الموجِ
فباتوا صَرْعَى القضاءِ العاتي
ومضَوْا يَضْرِبونَ في ظُلْمةِ الليلِ
وما من مَنْجىً من المأساةِ

وتَعَالَى ، تحتَ الظلامِ ، صُراخٌ
ردّدتْهُ الرياحُ للأشجارِ
هو صوتُ الأحياءِ ، في لُجّةِ الموتِ ،
وصَرْعَى الأمواجِ والأقدارِ
عبثاً تضرعينَ ، عاشقةَ الليلِ ،
لقلبِ الظلامِ والأسرارِ
عبثاً فالحياةُ سُنّتُها الحُزْنُ ،
وحُكْمُ الآهاتِ والدّمعِ جارِ

- ٢ -

صوت الأمل

سِرْ بنا ، سِرْ ، يا زورقَ الأملِ العَذْبِ ،
وإن أسدلتْ ستورُ الظَّلامِ
وتَعَالى الدويُّ في النَّهَرِ الباكي
على مَسْمعِ القلوبِ الدّوّامي
سر بنا ، لن نخافَ من ضجّة الموجِ
ولن نرهَبَ العُبابَ الطامي
نحنُ ، في الموجِ ، دَفّةٌ
طالما لاقتْ رياحَ الأقدارِ والأيّامِ

سِرْ بنا حيثُما يُريدُ لنا المجهولُ
سِرْ في هذا الوجودِ الحزينِ
لن تنالَ الحياةُ منا ،
فقد ذُقْنا أساها في عُمْرنا المغبونِ

ورمتنا أحزانُها فصَبَرْنا
وغداً مَغْرِبُ الأسى والشّجونِ
وغداً تَنْضَبُ الدموعُ
وتَفْنى ضجّةُ الموجِ في عميقِ السكون

سوف تصفو الامواجُ في لُجّةِ النّهْرِ
ويخبو الإعصارُ خلفَ التلالِ
وتعودُ النخيلُ تضحكُ للشطّ
كما كنّ في الليالي الخوالي
ويعودُ الملاّحُ يخرُجُ بالزورقِ
نشوانَ ضاحكَ الآمالِ
هكذا يرجِعُ الصفاءُ الى الوادي
ويغفو على جمالِ الليالي

- ٣ -

صوت الشاعر

مُغْرَقٌ في خياله ، شاردُ العينينِ
مُستسلمٌ إلى الأحلامِ
يذرَع الضفّةَ الجميلةَ
مفتوناً بصوتِ الأمواج والأنسام
ويَرَى اللُجّةَ الرهيبةَ سِحْراً
وينابيعَ فِضْنَ بالإلهامِ
وعلى البُعْدِ منظرُ النَخْلِ في النَهْرِ
ومَرْأى التلالِ والآكامِ

هكذا الشاعرُ الخياليُّ
يَقْضي يومَهُ في الأوهامِ والألحانِ
ويَرَى في طُغْيانِ مائكَ ، يا نهرُ ،
جَمَالَ الطبيعةِ المِفْتانِ

فهو ذاكَ الطيرُ المغرِّدُ بالشِّعْرِ ،
نبيُّ الخيالِ والألوانِ
تَتَصبّاهُ موجةٌ تغسِلُ الشَطَّ ،
ونهْرٌ داوٍ ، ولُجٌّ قانِ

كلُّ ما في الطبيعةِ الحُلْوةِ المِفْتانِ
يوحي لقلبه بالغناءِ
كيف لا ، وهو ذلكَ الشاعرُ المرهَفُ
وابنُ الخيالِ والإيحاءِ
عاشقُ الصَحْوِ والغيومِ الحزيناتِ
وشادي الضِياءِ والظَلْماءِ
ورسولُ السَماءِ للعالَمِ الباكي
وصوتُ الأمواتِ والأحياء

١٩٤٦

الخطوة الأخيرة

إشهدي ، أيتُها الأشجــارُ ، أنّي
لن أرَى ثانيــةً تحــتَ الظِـلالِ
هــا أنا أمضي فــلا تبــكي لحُزْني
لا يُعذّبْكِ اكتــآبي وابتهــالي

خُطـُواتي ، في الدُجَى لا تحسبيها
انّهــا آخِرُ مــا أخطو هُنَــا
انّها رجْــعُ أغانٍ لن تَعيهــا
سوف تَذْوي مثلَما أذوي أنــا

خُطُواتي ، أيُّ رجْعٍ مُحْزنِ
آهِ لو لم أسمعِ الصوتَ الكئيبا
ليتني أفقِدُ حسّي ، ليتني
لم أشاهدْ ذلكَ الحُلْمَ الغريبا

أيُّ حُلْمٍ ذابلٍ فوْقَ الرمالِ
صُغْتُ فيه كلّ موسيقى حياتي
كلّ أحلامِ شبابي وخيالي
كلّ ما في خافقي من نَغَماتِ

ها أنا أرحَلُ ، يا أشجارُ ، عنكِ
تحتَ عبءٍ من شُرودي وخُشوعي
ليتني أجرؤ أن أُلقيْ عليكِ
نظرةً ثانيةً ، دونَ دموعِ

لن تُحسّي ، في غـــدٍ ، وقْعَ خُطايا
فــأنا ، يا أخَواتي ، لن أعـــودا
كلُّ أحــلامي وأضغـــاثِ رؤايا
عُدْنَ يأساً صارخاً ، عـدن شرودا

سوف ألقي العودَ في الظلِّ وأمضي
أيُّ معنىً ، بَعْدُ ، للعودِ الرقيقِ ؟
سوف أحيَى ، يا سمائي ، فوقَ أرضي
سوف أطوي النورَ في قلبي العميقِ

وَوَداعــاً ، أنتَ يا حُلْمَ شبـــابي
أنتَ يا من عمرُهُ خمسَ سنـــينْ
ها أنا أدفِنُ ، في الأرض ، رغـــابي
وأواري أمــلي المُرَّ الحـــزينْ

١٩٨٠م

ألمرّاتُ الجميـلاتُ ستبكي
فوق ذكرايَ ولكن لن أعـودا
حسْبُ روحي ، أيُّها الأشجارُ ، منكِ
أنّ ذكرى رَغَبـاتي لن تَبيدا

وأنا ؟ لا تجزعي ، حسبُكِ منّي
أنّ ذكراكِ بقلـبي سوف تَحْيَى
كلُّ جَذْرٍ منكِ في أعمـاق فنّي
سوف يبقى شاعريّاً أبديّـا

آهِ يا أشجـارُ ، لا ، لا تذكريني
فـأنا تمثالُ يـأسٍ بَشَريّْ
ليس عنـدي غـيرُ آثارِ حنيني
وبقـايا من شقائي الأبَـديّْ

كنتُ يوماً خافقـــاً ، بينَ الغيومِ ،
أسْكُبُ الأحلامَ في عُمْقِ حيـــاتي
تصعّــــدُ الآمـالُ بي فوق النجـومِ
ويصوغُ الشعْرُ أحلى رَغَبـــاتي

أيُّها العودُ ، وَداعاً من حياتي
هبطَ الليلُ وقد حـان رحيـلي
إمْحُ ما قـــد كان ، إمسَحْ نَغَماتي
إنْسَ أنغـــامَ شَقَـــائي وذُهولي

لن تعيْ ، في الغد ، أنغـــامَ أسايا
وترانــيمَ سُروري وشَقــائي
فانْسَني ، ها قد نــأَى رجعُ خُطـَايا
هـــا أنا أغرقُ ، في قلْبِ المساءِ
١٩٤٦

مِن الشِعر المترجم

البحر

للشاعر الانكليزي ج . غ . بايرون
من قصيدته الطويلة
« Childe Harold Pilgrimage

أيُّها البحرُ ، أيّها الأزرقُ الداكنُ ،
اهدِرْ ، ماشئتَ ، في الظَّلْماءِ
ساخرَ الموجِ من قُوَى الآدميّينَ
عميقاً مُدوّيَ الأنواءِ
نخَرَتْ في العُبَابِ منكَ الأساطيلُ
وتاهتْ في موجكَ اللانهائي
وبَقِيتَ المجهولَ ، يرهبُكَ الإنسانُ
وهْو الطاغي على الأشياء .

كلُّ ما عندَهُ من القوّةِ الهوجاءِ ، يا بحرْ
عند شطّكَ يَعْيَى
فهو يَطْغَى ، في الارضِ ، بالشرّ والتخريبِ
لكنْ تظلُّ أنتَ عتيّا
وتظَلُّ الأمواجُ منكَ ، كما كانتْ ،
حيَّ زاخراً ، وسطحاً سويّا
ما عليها ظلٌّ لطُغْيانِ مخلوقٍ
سيبقى ، على الزمانِ ، صبيّا

ذلكَ الحيُّ ، ليس يتركُ من ظلٍّ
سوى ظلّهِ ، على الأمواجِ
عندما تحتويــه أنواؤكَ الهُوجُ
فَيَهْوِي في لُجّةِ الأثباجِ
صارخاً ، هابطاً الى عُمْقِ أعماقك ، مَيْتاً
تحتَ الفَضَاء الساجي
دونَ قبرٍ يضُمُّ أشلاءَهُ أو كَفَنِ
غيرَ رائعاتِ الدَيَاجي

كلُّ ما فوقَ موجِكَ الخالدِ الجبّارِ
ما إن يُبْقي بقايا خُطاهُ
ومسافاتُكَ البعيداتُ
ليستْ ، أيها البحرُ ، ما تنالُ يداهُ
أيُّها المُزْدري بطُغْيانِهِ المكذوبِ
يا ساخراً بكُنْهِ قواهُ
إنّه ذلكَ الضعيفُ ،
إذا جاءكَ يوماً وأبصرتْ عيناهُ

تتلقّاهُ موجةٌ بعد أخرى
منكَ ، يا بحرُ ، في ظلامِ المساءِ
ثم ترمي به الرياحُ المُخيفاتُ
رُفاتاً مَيْتاً ، الى الأجواءِ
فاذا ما خبا جنُونُ الأعاصيرِ
وماتتْ أصداؤها في الفضاءِ
عاد شِلْواً الى حِمَى الشاطئِ الساجي
وجِسْماً على حِفافِ الماءِ

أيّها البحرُ ، آهِ ما هذه الأسوارُ !
تحتَ الحديدِ والنيرانِ ؟
أيُّ شيءٍ هذي القلاعُ الرهيباتُ ؟
وما سرُّ ذلك الطُغْيانِ ؟
لقّبوا سادةَ البحارِ ،
وما هُمْ غيرُ طيفٍ من الغُرور الفاني
تتلقّاهمُ قوى موجِكَ الرائعِ
بالموتِ والأذَى والهوانِ

كلُّ شيءٍ في الساحل الشاسع النائي
يُطيعُ الموتَ البطيءَ العَتِيّا
كلُّ شيءٍ يَبْلَى وتلبثُ جبّاراً ،
كما كنتَ ، ساخراً ، أبديّا
أينَ آشورُ ؟ أينَ روما وقرطاجةُ ؟
ما عادَ ذكرُها قط يَحْيَى
ذهبتْ كلُّها ، وماتتْ ،
وما زلتَ كما كنتَ ، أيّها البحرُ ، حيّا

كلُّ تلكَ السواحلِ الحُلْوةِ الغَنّاءِ
عادتْ ، تحتَ الزمانِ ، صَحَارَى
يتمشّى فيها الغريبُ ،
وكانتْ أمسِ دنيا تفيضُ نوراً ونارا
وتبقّيْتَ أنت ، مثلَكَ بالأمسِ ،
عميقاً ، مدوّياً ، جبّارا
لم يُغضّنْ جبينَكَ الزّمَنُ الماضي
وما زلتَ جارياً قهّارا

منذُ أن شبّتِ الخليقةُ
أنتَ البحرُ ، تحت الضياءِ والظُلُماتِ
كلُّ شيءٍ ، كما رأى البَشَرُ الفانونَ ، باقٍ
وأنتَ أنتَ العاتي
أبداً أنتَ ، ذلكَ اللانهائيُّ المُدَوّي ،
في مَسْمعِ الداجياتِ
أبداً أنتَ ، سَرْمديٌّ ، خفيٌّ
في السكونِ الساجي أو العاصفاتِ

وأنا ، أيُّها المُحيطُ المُدَوّي ،
عاشقُ الموج ، والحَصَى ، والرمالِ
طالما سِرْتُ ، في صباي َ، على الضِفّةِ
مُسْتَغْرِقاً بوادي الخيالِ
طالما سرتُ شارداً ، مثلَ أمواجِكَ ،
نشوانَ ، ضاحكاً للمجالي
كلُّ حُلْمي أن يحتويْ زورقي موجُكَ يوماً
فترتوي آمالي

كيفَ يا بحرُ ، كيف تَنْسَى مَرَاحي
عندَ أمواجكَ الجميلاتِ أمسِ ؟
عندما ، في طفولتي ، كنتُ ألهو
في شواطيكَ ، بين بِشْري وأُنْسي
طالما في أمواجكَ الباردات ِ البيضِ
أترعتُ ، في الأماسيّ ، كأسي
ليت شعري فهل نَسِيتَ أغاريدي ؟
وحبّيْ الطاغي ، وفورةَ نفسي ؟

١٨ ـ ٦ ـ ١٩٤٦

مَرثية في مقبرةٍ ريفيّة

« ترجمة للقصيدة المشهورة
An Elegy Written in a Country Churchyard
للشاعر الانكليزي توماس غراي »

في المساءِ الكئيبِ ،
والجَرَسُ المحزونُ ينعَى النهارَ للأجواءِ
والقطيعُ المكدود ينسابُ في المرج
بطيءَ الخُطَى ، كئيبَ الثُغَاءِ
والفَتَى الحارسُ المَؤودُ
إلى المأوَى يَجُرُّ الخُطَى من الإعياءِ
تاركاً هذهِ المجاليْ الحزيناتِ .
لقلبي أنا ، وللظَلْماءِ

سوف يخبو النورُ المتلألئ في الأفق
بعيداً ، على امتدادِ السُهوبِ
والفضاءُ الممتدُ يغمرُهُ الليلُ
فلا شيءَ غيرُ صمتٍ رهيبِ
ليس إلا حفيفُ أجنحةِ الأطيار
في جوِّها الدّجِيّ الكئيبِ
ودويُّ الأجراسِ ينشُرُ ، فوق المَرْجِ ،
وهْمَ الكَرَى وصمْتَ الغُيوبِ

ليس الا قُمْرِيّةٌ
يُرْسِلُ الشكوى الى البدر قلبُها المغبونُ
عُشُّها قُنّةٌ تسلّقَها الزهرُ
وأخفتْهُ في الظلال الغصونُ
تتشكّى الذين مرّوا بدنياها
فلم تَدْرِ ما عَسَى سيكونُ
عكّروا العُزْلةَ القديمةَ والصمتَ
فدوّى هُتَافها المحزونُ

ها هُنا ، في الظِلالِ من شَجَر السَرْوِ ،
وبينَ الأغصانِ والأشجارِ
حيثُ تعلو الرمالُ ، والعُشْبُ ينمو
بين هذي الكُثبانِ والأغوار
رقد الراحلونَ من ساكني القريةِ
بين الرمالِ والأحجارِ
أسلمتْهم أيدي المَنونِ الى ضيقِ قبورٍ
تحت الثَرَى المُنْهارِ

رقدوا ، فابتسامةُ الفجر
لا توقظُ دُنياهمُ على الأنسامِ
ومراحُ الطيورِ ، في أسقُفِ الأكواخِ ،
ما إن يُصْحيهمُ من منامِ
رقدوا الرقدةَ الأخيرة
في الوادي الدَجِيِّ الحزينِ ، وادي الحِمَام
ليس تُغْريهمُ هُتافاتُ بوقٍ
كيف تُغْرَى هياكلٌ من عظامِ ؟

رقدوا في العَرَاءِ ، تحتَ الثلوجِ البيضِ :
لا مَوْقِدٌ ولا نيرانُ
ومضَوْا ، فالبيوتُ خاويةٌ منهمْ
وفي قلبِ أهلها أحزانُ
لا صغارٌ تخِفُّ جَذْلى مساءً
تتلقّامُ ولا أحضانُ
يا لَتنهيدةِ اليتامَى !
فما يرجِعُ آباؤهم إلى ما كانوا

كم تعرّتْ سنابلُ القمحِ في أيديهمُ
كم ترنّموا في السُهولِ
ولَكم شقّتْ الحقولَ مجاريثُهمْ
فازدهتْ زهورُ الحقولِ
وبأيِّ الأفراحِ ساقُوا إلى المأوى ،
قطيعَ الأغنامِ عندَ الأصيلِ
ولكم أخضعوا من الشَجَرِ الصَلْدِ ،
وألقَوْا ، بِساقِهِ ، في الوُحولِ

ليس للهازئين ان يَحتقروا جُهْدَهم
أو طموحَهم في الحياةِ
أو مَسَرّاتهم ، وذكرَهم المغمورَ بالفقر
والشقاء العاتي
رحمةً ، لا تكنْ دموعُ الحَزَانَى بَسَمات
في الأعينِ الساخراتِ
ليسَ للأغنياءِ أن يَحتقروا عُمْر فقيرِ
مَحْياهُ للآهاتِ

أوَليست هذي الحياةُ سَرَاباً ؟
أوَليس الفَناء عُقْبَى سَناها ؟
أوَتُنْجي الألقابُ أو مِنَحُ المجْدِ
اذا ما الحِمامُ أحنَى الجِباها ؟
يالَوَهْمِ الأحياءِ ،
كم من حضاراتٍ أطافَ البِلى بها فمَحاها
كلُّ ما في الحياةِ يُنْهي إلى القبرِ ،
فما مَجْدُها ؟ وما جَدْواها ؟

لا تَلُمْهم ، يا أيها الكائنُ المغرورُ ،
إن لم يَرُقْ هَوَاكَ الثَوِيُّ
لا تَلُمْهم ، إن لم يَشِدْ فوقه المجدُ التماثيلَ ،
أيها البشريُّ
ها هنا لا قُبَابَ ، لا قوسَ نَصْرٍ
ليس الا سرُّ الرَدَى الأبديُّ
وهُوَ المرقَدُ الأبيدُ لقومٍ
لم يُرَنِّمْ مديحَهُمْ آدميُّ

ليتَ شِعْري ، ماذا تقولُ التماثيلُ لمَيْتٍ ؟
وما غنى الافواسِ ؟
ألها أن تردَّ للكائنِ الحيِّ ، إذا ماتَ ،
خامدَ الأنفاسِ ؟
وهُتافُ المديحِ ،
هل هُوَ ، يوماً ، بالغٌ مَسْمَعَ الحِمامِ القاسي ؟
ونفاقُ الأحياءِ
هل يمنحُ الأجداثَ والموتَ رعشةَ الإحساسِ ؟

لستَ تدري من حلَّ ، في هذه البقعةِ ،
تحتَ التُرَابِ والأشواكِ
علَّهُ كان شاعراً ، طاهرَ الروحِ ،
حبتْهُ السماءُ قلبَ ملاكِ
علَّهُ العبقريُّ ، لو أمهلَ الموتُ ،
لقادَ الدُنْيا الى الأفلاكِ
علَّهُ المُلْهَمُ الذي يوقظُ النايَ
فيفترُّ كلُّ قلبٍ باكِ

عبقريّاتُهُم زَوَتْها المآسي
ومحَتْ ضوءَها يدُ الأقدارِ
فهُمُ الجاهلونَ ،
ما رفرفَ العلمُ عليهم بجُنْحِهِ الطيّارِ
وهم البائسونَ ،
أطفأ بَرْدُ الفَقْرِ فيهم نبعَ اللهيب الواري
فاذا عبقريّةُ الروحِ مَجْرىً
جامدُ السيلِ راسبُ التيّارِ

يالتَظَلُّم الأقدار ،
كم ماسةٍ حسناءَ ظلّتْ في ظُلْمة الأعماق
أخفتِ اللُجّةُ العميقةُ لألاها
فيا ضَيْعَةَ السنا الألاّقِ
كم زهورٍ زَجَّى بها القدَرُ القاسي
بعيداً عن أعيُنِ العُشّاقِ
تبعثُ العطرَ والفتونَ
إلى جوِّ الصحاري ودُجيةِ الآفاقِ

ربّما كان ، تحتَ هذا الثرى العاري ،
قلوبٌ شواعرٌ وعقولُ
ربّما كان ، تحتها ، (هامدنٌ) ثانٍ
زَوَاهُ مَقَرُّهُ المَجْهولُ
أو فتىً مثلُ (ملتنٍ) الشاعرِ المُلْهَمِ
أخفاهُ صمتُهُ والذهولُ
ربّما كان تحتها (كرومولٌ) آخَرُ
لم يُصبِهِ الدمُ المطلولُ

حَرَمَتْهم أيدي القَضاءِ نعيمَ العَيشِ
واستعبدتْهمُ الآلامُ
فهُمُ حيثُ لا مجالسَ ، لا تصفيقَ
حيثُ المُحيّا هُدًى وسَلامْ
وهمُ حيثُ ليس يُهْزَا بآلام الحَزانى
وتُحقَرُ الأيتامُ
وهمُ البائسونَ ، أرضُهُمُ قَفْرٌ
وأيّامُهُمْ طَوًى وسَقَامُ

غيرَ أنّ الشقاءَ
أخمد في دنياهمُ الإثمَ والأذى والغرورا
فاذا هم ولا جرائمَ تُدْمي الأرضَ
من حولهمْ ، ولا تدميرا
لم يخوضوا الحروبَ سَعْياً الى المجدِ ،
ولم يعرفوا الدمَ المهدورا
والليالي مدّتْ لهم سُبُلَ الرحمةِ ،
فاستعذبوا الشعورَ الطَهُورا

وهُوَ الفَقْرُ ، ردَّ أنفسَهم
بيْضاً من الشرِّ ، والأذَى ، والحُقودِ
فاذا طافَ باطلٌ بحِماهمْ
فاحمرارُ الحياء لونُ الخُدودِ
ليسَ فيهم مَنْ سخّرَ الشِعْرَ والفنَّ ،
عبيداً للمَطمَعِ المحدودِ
ليسَ فيهم من داس آلهةَ الفنِّ ،
على مَذْبحِ الغِنىَ المنشودِ

ولقد أمْضَوا الحياةَ بعيدينَ
عن النارِ واحتدامِ الصِراعِ
ملأتهم ألوانُ أحلامهم نُبْلاً
فلم تُغْرِهِم رؤى الأطماعِ
عبروا واديَ الحياةِ سُكوتاً
مُغْرَقي العُمْرِ في صفاءِ الطِباعِ
لَهْوُهم منبعٌ يفيضُ على الأرضِ ،
ونايٌ نشوانُ في فم راعِ

رقدوا ، والقبورُ عاريةٌ ،
إلا من الصَمْتِ والهُدوءِ الحزينِ
وعلى البُعْدِ تلمحُ العينُ تمثالاً ضئيلاً ،
يبكي لصَرْعَى المَنُونِ
كُتبتْ تحتَهُ قَوَافٍ وأشعارٌ
تغنّي لمن ثَوَوْا في الطينِ
يسألُ العابرينَ آهةَ حُزْنٍ
لقُبورٍ تحتَ الدُجَى والدُجونِ

ألقبورُ التي حنَتْ ريشةُ الشِعْرِ عليها
بلحنٍ حزنٍ حائرْ
فاذا اللحنُ لحنُ شادٍ مُقِلٍّ
ليسَ فيه الا تفجُّعُ شاعِرْ
ألقبورُ التي على صَخْرِها لحنُ رِثاءٍ
يُثيرُ دمعَ العابرْ
ويُنادي الأحياءَ أنّ حياةَ المرءِ حُلْمٌ
عُقْباهُ صمتُ المقابرْ

أيُّ نفسٍ ترى يهونُ عليها
أن تُوارَى في لجّةِ النسيانِ ؟
ولْتكنْ هذه الحياةُ شقاءً
من تراهُ يرتاحُ للأكفانِ ؟
أيُّ قلبٍ يَرْضى مُغادرةَ الأرضِ
بلا حَسْرةٍ ، ولا أحزانِ ،
وهي أفْقُ الأضواءِ ، والسِحرِ ، والأشعارْ ،
والقبرُ عالمُ الديدانِ ؟

وهيَ الروحُ ، حين ترحلُ ،
تهفو لفؤادٍ حانٍ وصدْرٍ خَفوقِ
والعيونُ المودّعاتُ
يُعزّيها أسَى مُشْفِقٍ ودمعُ صديقِ
ومِن القبرِ ، ذلك المظْلم البارد ،
يعلو صوتُ الزمان العميقِ :
آه حتى في شِلْوِ أجسادنا الميْتَةِ
تبقى آثارُ ذاك البريقِ

آهِ يا شاعري ، وأنتَ ؟
وقد خلّدتَ ذكرى الأمواتِ والبائسينا
أنتَ ، يا من قصصتَ أنباءهم شِعْراً
وذوّبتَ قلبَكَ المحزونا
عَلّ روحاً تقودُهُ الوَحْدةُ الخرساءُ يوماً
إلى حِمَاكَ حنينا
علّهُ سائلٌ غداً عن أغانيكَ
وما قد جرّتْ عليك السِنينا

أيّها الشاعرُ الوفيُّ ،
وقد يهتفُ قلبٌ ثانٍ يُجيبُ السؤالا :
طالما قبّلتْ خُطاهُ ثَرَى الوادي صباحاً ،
وجابتِ الأدغالا
طالما سار مُسرِعاً ،
تنفضُ الأنداءَ أقدامُهُ وتَطْوي التِلالا
ليُلاقي أشراقةَ الشمسِ فوق القِمَمَ الخُضْر
فتنةً وجمَالا

ها هنا في الظِلالِ من شَجَرِ البلّوطِ
بينَ الأغصانِ والأفياءِ
طالما مدَّ جسمَهُ الخائرَ المكدودَ
مُستَسلماً لأيدي القضاءِ
سابحاً في الخيالِ ، مُغرورقَ العَينَينِ ،
نَهْبَ اكتآبةٍ خَرساءِ
أبداً يرقبُ السواقيَ حيرانَ
ويُصغي إلى خريرِ الماءِ

كم رأيناهُ شارداً في المَجالي
وعلى ثَغرِه ابتسامةُ ساخرْ
كم لمحناهُ حالمَ القلبِ ،
يحثُّ خُطاهُ بين الروابي النواضِرْ
تارةً ضاحكاً ، وآناً حزيناً ،
شاحبَ الوجهِ مُغرَقاً في الخواطرْ
قوَّسَتْ ظهرَهُ هُمومُ الليالي
وقَضَتْ بالأسى عليه المقادِرْ

طالما سارَ شاردَ الخطوِ ، مكدوداً ،
كسارٍ ضلّتْ به قَدَمَاهُ
أو كمن أخلصَ الغرامَ ،
فلم يَلْقَ سوى البَغْضِ والجفاءِ هواهُ
أو كمن وشّحَ الشقاءُ لياليهِ
وماتت أحلامُهُ ورؤاهُ
أو كمن عاشَ حالمَ الروحِ بالنورِ ،
فلم يرحمِ الظلامُ مُناهُ

.

وأتى الفجرُ ذاتَ يومٍ
فلم أعثرْ على الشاعرِ الشريدِ النبيلِ
لم أجدْهُ على التلالِ الحبيباتِ الى قلبهِ ،
ولا في السهولِ ،
ومَضى اليومُ ثم أقبلَ ثانٍ
والفَتَى في مقرّهِ المجهولِ
لا إلى جانب الجداولِ أُلفيهِ ،
ولا في الرُبى ، ولا في الحقولِ

وأتاني الصباحُ بالنبأ المجهولِ :
فالشاعرُ الحزينُ صريعُ
حملوهُ على الأكفّ
وألحانُ المراثي تفجّعٌ وخُشوعُ
آه يا عابرَ السبيلِ اقتربْ واقرأ رثاهُ ،
فذاكَ ما تستطيعُ
كتبوهُ على حجارة قبرِ
ما بكتهُ غيرَ الدجونِ دموعُ

« الكلمات المكتوبة على القبر »

ها هنا في الترابِ ، في ظُلّةِ الشوكِ
وسادٌ لشاعرٍ محزونِ
جَهِلتْهُ الحظوظُ والمجدُ والشهرةُ
في ظُلمة الزمانِ الضنينِ

لم يَـنَـلْ من مناهلِ العلم والفنَّ
سوى كأسِ ظامىءٍ مَـغبونِ
والليالي صاغتْ صِباهُ من الحـُزْنِ
وهزّتْ حياتَـهُ بالشـُجونِ

وسَع الكونَ كلـّهُ قلبُهُ الخَـفّاقُ
بالودّ والحنانِ الدَفـُوقِ
ولقد كافأتـْهُ آلهةُ الِشعْرِ
على قلبـِهِ النبيلِ الرقيقِ
منح البائسينَ أثمَـنَ ما يملكـهُ :
عَبرْةَ انفعالِ عميقِ
فحبتْـهُ السماءُ أنبلَ ما تمنحـهُ للأحياءِ :
قلبَ صديقِ

آهِ يا عابرَ السبيلِ

دعِ الشاعرَ في مَرْقَدِ الرَدَى مُطْمئنّا

لا تحاولْ كشفَ الستار عن الخير

ودعْ مُقلةَ المساوىءِ وَسْنَى

فوراءَ التراب قلبٌ

له في رحمة الله مأملٌ ليس يَفْنَى

مأملُ الخافقِ الذي ضمّهُ اللهُ الى عَدْلهِ

فأغمضَ عينا

أيار ١٩٤٥

فهرس

١٩٦٠/٤/١٧٣

عاشقة الليل

باقة من القصائد العاطفية الحالمة تجمع بين الكآبة والتمرد، ويخيم عليها الليل بنجومه وسكونه وظلامه.

انه الديوان الذي يزخر بالعاطفة العميقة الصادقة التي تنطلق بلا تزويق ولا تكلف من أعماق قلب الشاعرة. وهو الديوان الذي لفت أنظار العالم العربي لأول مرة الى نازك الملائكة عندما لم يكن قد سمع باسمها أحد، فما كاد يصدر حتى أسرع كبار النقاد الى التنويه به والتحدث عنه.

وها نحن نقدمه للقراء في طبعة جديدة وحلة أبهى عسى أن يتمكن محبو شعر نازك الملائكة من اقتناء هذا الديوان النابض بالمشاعر العاطفية.

منشورات المكتب التجاري - بيروت